Mount legends

رواية

جبل الأساطير

أمل زيادة



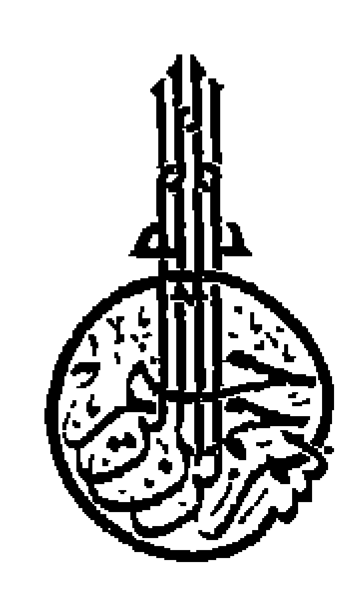
المجموعة الدولية
للنشر والتوزيع



رواية

أمل زيادة





العنوان: جبل الأساطير (رواية)

المؤلف: أمل زيادة

إشراف عام: علاء ماسم

الناشر



15 ش يوسف الجندي ميدان باب اللوق
أمام مول البستان وسط البلد
تليفون: 24517300 - 01271919100
emil: samanasher@yahoo.com

التوزيع
المجموعة الدولية
للنشر والتوزيع

80 ش طومان باي - الزيتون - القاهرة
تليفون 24518068 - 01099998240
emil aldawleah_group1@yahoo com

تصميم الغلاف: إيمان صلاح
إخراج داخلي: معتز حسنين

الترقيم الدولي: 978-977-6451-91-9
رقم الإيداع: 2014 / 23498
الطبعة الأولى: يناير 2015

جبل
الأساطير

إهـــداء خــاص جـــدًّا

إلى الراحلون من حياتنا والساكنون طيات القلب

إلى روح عمتي الغالية

سامية عبد المجيد زيادة

أهديكِ هذا العمل..

أمـــــل زيـــــادة

إهــــداء

إلى كل شخص كان مصدر سعادة لي في هذه الحياة

إلى كل شخص أراه نادر الوجود

إلى رفاق الدرب

من الكتاب والقراء الأعزاء

الجميلة الرقيقة تقــى الزغبــي

والراقية الغالية على قلبي

عزة عبد الباسط الطحان من أسيوط

القارئ الغالي

سليمان سالمين الصوافي من سلطنة عمان

أصغر قارئ تواصل معي

محمد السيد أبو السعد

إليكم جميعًا.. أهديكم هذه الرواية

مع كل الحب والود والعرفان

أمــــل زيــــادة

مقدمة

وجولة رائدة في أدب الخيال العلمي

دراسة وتقديم: د. نوران فؤاد

عرفـت الكاتبـة/ أمل زيـادة باحثة جـادة في مجـال الكتابة في أدب الخيـال العلمـي، إضافـة إلـى كونهـا صحفية مجتهـدة، مما جعلهـا بجـدارة واحدة من أبـرز المواهب الأدبية الشـابة في نقلها تجـاربَ العلـم فـي كتاباتها الأدبيـة، ومقالاتها العلمية، سـواء في بعدهـا الاجتماعي القومي، أو في تفاعلها متعدد الأبعاد مع العالم الخارجـى، وهـي الأكثـر قـدرة علـى تنـاول موضوعـات حداثية كالطاقـة المتجـددة، والومضـات الكونية، والذي لـم ينسِـها روعة التعبيـر الأدبـي فـي أعمالها السـابقة، وصولًا إلى عملهـا الحالي، جبل الأسـاطير، فهي تختار العنوان الموحي، ذلك الجبل المتواتر فـي أحاديث العامة، الجبل الغامض والمكان الملعون، الذي يعج بالأحاديث والحكايات والأسـاطيرعن سـكناه بالجان والأشـباح والشياطين، إضافة إلى استعانتها بأغرب القضايا العلمية وأكثرها

جـدلًا، وهـي الاستنسـاخ البشـري أو التخليـق مـن كائـن لآخر، وممارسـة هذه التجارب بصورة تسيء إلى العلم والإنسانية في آنٍ واحد؛ فلا خير في علم دون توجه إنساني، بل وأضافت إضافة علمية مبتكـرة في عملهـا الأدبي، تجلت في استعانة العالـم والدكتور/ هاتان باستنساخ صفات حيوانية شرسة في الجنس الإنساني؛ رغبة منه في انتزاع رقة المشـاعر والعطف البشـري بدعوى أنهما سـبب فـي محاربـة العلم الكونـي، وتخلف البشـرية، وهي أفـكار واهية محض افتراء كما أشار إليها العمل الأدبي في تتابعه ودقة تفاصيله، مما يعكس معه مواكبة الكاتبة لتطورات العصر العلمية ومتطلباته، وفـي خضم الفكرة الأساسـية للعمل الروائي، لـم تغفل أمل زيادة سـبر النفـوس البشـرية وهـي مهمـة الروائـي الأولـى، التي تشـبه مهنـة الطبيـب الماهر الحـاذق، الذي يتنقل في براعـة بين الأماكن وعبر الأزمنة، لامسًـا بمِبضعه الدقيق نفوس البشـر تواصلًا وفهمًا وتجسيدًا لنوازع الخير والشر فيهم، بداية بالصحفية الشابة اللامعة غـادة أو لمار المخلقة، والتـي اختارت مهنة البحث عن المتاعب، مـرورًا بأمير قاسـمها المشـترك منـذ البدايـة، وحتى نهايـة العمل الروائي، إلى سـائر شخوص الرواية ممن تمَّ اختيارُهم بعناية؛ الأم رقية، الجنرال أو العالم المتسلط، الجنود المخلقين، وتم إسنادهم إلى فئات بأحرف أبجدية، وزميلة الجريدة الصحفية هدى، وأيضًا قصـة قريـة الجواهرجي بالفيـوم، والتي تم نسـجها ببراعة دون أن يحـس القارئ بملـل ورتابة أحداثهـا، وهو اتجـاه حداثي عالمي،

يُسمى بـ(القصة داخل القصة)، كما أشارت الكاتبة في اهتمام بالغ إلى قضايا اجتماعية جنائية بالغة الخطورة في عرضها لسرق سيارة الصحفية غادة وتفكيكها، مما عطل الجهود الشرطية لكشف ظروف اختفائها، وكذلك خطورة انتشار ظاهرة سرقة الهواتف النقالة، وتبادلها في أسواق المستعمل، مما أفسد عمل الشرطة في تتبع الاتصالات الأخيرة لها، وصولًا إلى الفطنة الواضحة في اختيار النهاية غير المتوقعة في ظهور مستنسخ أو مخلق آخر لأمير بطل القصة، فكان العمل الروائي سردًا مكتمل العناصر رغم توجهه العلمي الجلي، وفى الختام.. كل التقدير للكاتبة الصحفية والأديبة/ أمل زيادة.. الواعية بملامح التطورالعلمي والمجتمعي في آن واحد، متمنية لها دوام العطاء الأدبي.

د. نوران فؤاد

كاتبة وناقدة

مدينة نصر، القاهرة، 8 أكتوبر 2014م

الكهف

في منزل متواضع في وسط القاهرة، في حي العباسية العتيق، جلست غادة تتناول إفطارها مع الدتها السيدة رقية، أرملة في بداية العقد الخامس من العمر؛ منزلهم مكون من ثلاث غرف، ومطبخ، ودورة مياه، وصالة على حرف L.

وأخذت غادة تتصفح الجريدة وهي تتناول إفطارها.. وجدت والدتها تقول لها: صباح الخير يا ابنتي.

انتهي من تناول طعامك أولا

قالت غادة: صباح الخير يا أماه.

طوت الجريدة وهي تتابع قائلة لأمها: كيف حالك اليوم؟

ردت أمها: بخير، وأنتِ.. كيف يسير عملك في الجريدة؟

- ممتاز؛ لكنني أبحث عن موضوع شيق فلا أجد!!!

ترى يا أمَّاه هل لديك أية مقترحات غير طبعًا فنون الطبخ؟!

ضحكت أمها قائلة: وهل تستطيعين عمل موضوع عن فنون الطبخ؟ أنت واهمة!

أسرار الطبخ كلها هنا، وأشارت إلى رأسها.

ضحكت غادة وهي تقول لأمها: أعلم يا أعظم أم في الدنيا.. كنت أمازحك.

وفرغت من تناول طعامها؛ أخذت تلملم الأطباق وهي تقول لوالدتها: أتدرين يا أمي أن الإفطار معك ممتع، وأنك أفضل من يعد طبق الفول بالزيت والليمون؟

ردت والدتها مكمله: والكمون.

ضحكت غادة وهي تضع الأطباق في المطبخ: والكمون.

لحقت بها والدتها وهي تضع الأطباق في الثلاجة وهي تقول: دعيهم سأتكفل أنا بها.

أخذت غادة الأطباق الفارغة، وبينما هي تشرع في تنظيفها إذ قالت والدتها بحسم: هيا دعيها؛ سأتسلى أنا بها.. تعلمين أن تنظيف الأواني هوايتي المفضلة، اذهبي أنتِ حتى لا تتأخري.

قبلتها غادة قائلة بمرح ونشاط: الله لا يحرمني من طيبة قلبك.

قبلتها والدتها وهي تقول: هيا حتى لا تتأخري.

أسرعت غادة إلى داخل غرفتها، وأخذت حمامًا دافئًا ثم ارتدت ملابسها وقبل أن تغادر الشقة ذهبت إلى والدتها في غرفتها وهي تطرق الباب بهدوء قائلة بمرح: إني راحلة.. ليس الفيلم الشهير؛ أقصد أنني ذاهبة إلى العمل.

قالت والدتها ضاحكة: فليرعكِ الله يا ابنتي.

ثم تأملتها لحظة وهي تحدث نفسها قائلة: ابنتي أصبحت أميرة، عروسًا جميلة، أتمنى أن أطمئن عليكِ.

قالت غادة بمرح: رورو... أين ذهبتِ؟

أعادها من شرودها صوت غادة فقالت مبتسمة: هذه الملابس تزيدك جمالًا.

نظرت غادة إلى نفسها في المرآة قائلة بتعجب: حقًّا!!

كانت ترتدي قميصًا أبيض قطنًا بكُمٍّ طويل، وتضع حول رقبتها كوفية صوفًا سوداء، وترتدي بنطلون جينز أزرق غامقًا، وتضع نظارتها الشمسية الكبيرة ذات الإطارات البيضاء في وسط شعرها، وتركت شعرها ينسدل على ظهرها بلا تصفيف، وهو مجعد كيرلي؛ وكانت تضع قليلًا من أحمر الشفاه القانئ وكحلًا خفيفًا. أقبلت على والدتها وهي تحتضنها قائلة بمرح:

أنت من تملك عينين جميلتين يا رورو.

ضحكت أمها وهي تمطرها بوابل من الأدعية؛ حتى غادرت المنزل متجهة إلى مقر عملها.

■■■

قادت سيارتها عتيقة الطراز، التي ورثتها عن والدها، مخترقةً شوارع وسط القاهرة المزدحمة، وهي تستمتع إلى إذاعة الـ(إف إم)،

وفي قلب ميدان رمسيس أوقفت سيارتها داخل أسوار مبنى جريدة الجمهورية.. تهبط من السيارة برشاقة متجهة إلى داخل المبنى.. وقفت أمام المصعد المعدني فضي اللون الذي يتوسط المبنى والذي على يمنيه سلم رخامي عريض، والمبنى مكيف؛ وقف حولها زملاؤها العاملون بالمبنى في انتظار وصول المصعد؛ وينتشر في المكان وعلى البوابات رجال الأمن بزيهم الشهير؛ قميص أزرق وبنطلون كحلي، وتنتشر في المكان رائحة سجائر وعطور مختلطة، نسائية ورجالية.. بعد لحظات سمع الجميع صوت الأزيز المميز لوصول المصعد إلى الطابق الأول، دلفت إلى داخله ولحق بها الزملاء.

وفي الطابق الخامس وقف المصعد، خرجت غادة متجهة إلى مكتبها وهي تلقي التحية على من يقابلها مبتسمة بهدوء.

■■■

في مكتبها متوسط الحجم الذي تعمل به هي وصديقتها هدى؛ هدى سيدة مطلقة أربعينية ترتدي حجابًا لبنيًّا وفستانًا أزرق غامقًا، وتضع ميكياج كاملًا، قوامها ممشوق بالنسبة لمن هن في مثل سنها، لديها ولدان؛ أحدهما في الصف الثالث الثانوي، والآخر في نهاية المرحلة الإعدادية.. انفصلت عن زوجها بعد صراع طويل في محاكم الأسرة، وبعد فشل كل محاولات الأهل للإصلاح بينهما قررت أن تكمل حياتها بمفردها، وأن تكرس كل وقتها واهتمامها لأولادها. يوجد بالغرفة مكتبان: مكتب مستطيل

بنـي اللون، خـاص بصديقتها، ومكتب بيضاوي متوسـط الحجم، خـاص بغـادة. والغرفـة متوسـطة الحجم بهـا أربعة كراسـي جلد متناثـرة أمام المكتبيـن، ومنضدة صغيرة، ودولاب خشـبي مكون مـن (دلفة) واحـدة؛ وثلاجة بباب واحد صغيـرة؛ ألقت غادة نظرة على مكتب هدى قائلة بمرح: صباح الخير.

هدى: صباح الورد.

قالت غادة بسعادة ونشاط: أتدرين أحب أن أراكِ في أول اليوم أنت وورداتك هذه؟

ضحكـت هدى وهي تنظر إلـى (الفازة) التـي تضعها بجوارها على المكتب وبها ورد أحمر بلدي، ثم قالت مازحة:

يا إلهي، هذا كثير علي!

أبتسمت غادة دون تعقيب، في حين أكملت هدى قائلة ببساطة:

أما أنا فمتعجبة من هذا الانضباط!

ضحكت غادة وهي تجيب :

- يمكنـك أن تقولـي إن اليـوم يـوم فريـد فـي ج م ع، لا توجد اختناقات مرورية.

ألقـت بحقيبتهـا على مكتبهـا وهي تتطلـع إلى صديقتهـا قائلة بجدية :

- والآن هل فكرتِ عما سيكون تحقيقنا الجديد؟

- لا، وكأن كل الدنيا مثالية ولا يوجد بها أمر يلفت الانتباه أو غامض..

قالت صديقتها وهي تميل عليها: واللي يدلك على موضوع خطير؟

- سأقبل رأسه أغيثيني؟
- القبلة أولًا.
- الموضوع أولًا.
- حسنًا.. هل سمعتِ عن جبل الفيوم؟
- لا.

قالت هدى: هناك جبل تدور حوله بعض الأساطير، البعض يقول إنه تصدر منه ضوضاء وكأنه الجحيم بعينه، وهناك من يقول إنه مسكون بالشياطين وإن من يذهب إليه لا يعود إطلاقًا، يختفي في ظروف غامضة.

استمعت إليها غادة بانتباه قائلة: أيعقل ما تقولين؟

- هذا ما أعلمه؟
- أين هو؟ وكيف أصل اليه؟
- مع الأسف لا أعرف مكانه بالتحديد، كل ما أعرفه أنه في محافظة الفيوم، وهذا كل ما لدي من معلومات.

قالت غادة وهي تقبل رأس صديقتها: أنتِ لا تستحقين قبلة فقط، بل حضنًا كبيرًا.

ضحكت صديقتها وهي تقول لها: والآن ماذا ستفعلين؟

قالت غادة مبتسمة بخبث: قولي ماذا سنفعل؟

قالت هدى ضاحكة: لا أرجوكِ لدي أولاد أريد أن أراهم وهم متزوجون؛ ثم إن الموضوع متعلق بالجان، هل أخبرك أحد أنني أريد الانتحار؟!

قالت غادة بعد تفكير: حسنًا.. لكن عديني أن تغطي غيابي هنا وأمام أمي؛ إذا استدعى الأمر.

لأني سأضطر إلى السفر.

هدى: لا بد من أن يكون معك رفيق.

ردت غادة بجدية: أصل إلى مكانه أولًا، ثم نناقش موضوع الرفيق.

قالت هدى بجدية وبلهجة آمرة: موافقة لكن بشرط؛ عديني أنكِ لو توصلت إلى مكانه ألا تذهبي إليه بمفردك.

قالت غادة: بالطبع وهل قيل لك إنني انتحارية؟!

تنهدت غادة براحة وهي تقول: اتفقنا.

جلست غادة أمام شاشة الكمبيوتر وهي تكتب على محرك البحث جوجل جبل الفيوم...

ظهر لها أكثر من خيار لمناطق سياحية بالفيوم؛ حادث سير في طريق الفيوم الصحرواي، جبل الأشباح بين الحقيقة والخيال.

ضغطت على آخر خيار وهي تطالع المكتوب بلهفة وفضول.

قرأت بعض شهادات الموجودين حول المكان والذين أجمعوا على أن الجبل تصدر منه أصوات عالية مرعبة، وأن من يذهب إليه لا يعود.. حاولت البحث عن صور للجبل فلم تجد له أي شكل معروف.. دونت بعض المعلومات في دفتر صغير وهي تفكر في هذا المكان وحسها الصحفي يخبرها أن هذا المكان يخفي سرًّ ما!

وبفضول الصحفية قررت زيارة محافظة الفيوم والبحث عنه..

جمعت بعض المعلومات المبدئية، واستطاعت تحديد عدة نقاط وقررت البدء فورًا.

■■■

في منتصف اليوم عادت غادة إلى منزلها.. بحثت عن والدتها في المطبخ كما هي عادتها كل يوم فلم تجدها.. بحثت عنها في الردهة فلم تجدها.. تابعت بحثها قائلة: أين ذهبت رورو؟ وفتحت باب غرفة والدتها بهدوء وهي تلقي نظرة على السرير.. وجدتها ترقد على السرير في غرفتها وهي تطلق آهة ألم بين الحين والآخر.

اقتربت منها بقلق وهي تربت على يدها بهدوء: رورو... ما بكِ؟ هل أنتِ مريضة؟

فتحت أمها عينيها وهي تقول: حبيبتي لم أشعر بكِ؟ متى عدتِ؟

قالت غادة وهي تجلس على المقعد المجاور لسرير والدتها: ما بكِ يا أمي؟

قالت والدتها وهي تعتدل في جلستها: الصداع لا يفارقني.

- منذ متى؟
- منذ عدة أيام.
- يا أمي، لماذا لما تخبريني؟
- سأكون بخير.

قالت غادة بحسم: هيا بنا نذهب إلى الطبيب.

- لا.

سأكون بخير الآن.. ها، لماذا عدتِ مبكرًا.

- كُلفت بعمل جديد.
- وفقك الله يا ابنتي.

غادة بقلق: أمي، هيا بنا.. تبدين مريضة بالفعل.

قالت والدتها بعناد: لا، لا أريد الذهاب إلى الطبيب. أنا أصبحت بخير.

غادة بنفاذ صبر: يا أمي أرجوكِ أريد أن أطمئن عليكِ.

نظرت إليها والدتها بحسم قائلة: أنا بخير.. سأنام قليلًا وسأتحسن لا داعي للقلق.

مطت شفتيها بيأس قائلة: حسنًا إذا عدلتِ عن رأيك فأنا مستيقظة؛ بعد إذنك يا أماه.

تركتها وتوجهت إلى غرفتها.. وبمجرد أن دلفت للداخل، ألقت بجسدها على السرير وهي تحدث نفسها قائلة: لو حالفني الحظ في كشف سر هذا الجبل، فإن المكافأة لا تقل عن ترقية كبرى.

تنهدت بقوة وهي تنظر في ساعة يدها وتطالع عقارب الساعة التي تشير إلى الساعة الثانية والنصف.

قفزت من فوق سريرها بنشاط، وهي تجهز حقيبة ظهر رياضية بنية اللون، وضعت فيها الكاميرا النيكون L320، وطاقية رياضية سوداء عليها حرف الـ s باللون الأحمر القانئ، ودفترًا، وقلمًا، وزجاجة مياه، وبعد قليل غادرت المنزل في هدوء وخفة؛ بعد أن تأكدت من أن والدتها راحت في سبات عميق بعد أن تناولت أدويتها المسكنة.

■■■

وأخذت سيارتها وانطلقت إلى محافظة الفيوم التي تبعد عن جنوب القاهرة بحوالي 100 كيلومتر.

التهمت سيارتها الطريق الأسفلتي بسرعة، وهي تستمع إلى إذاعة الأغاني وهي تدندن مع أغاني فيروز التي تجعلها تحلق في عالم آخر.

وبعد ما يقارب الساعة والنصف، وجدت لافتة معدنية مكتوب عليها محافظة الفيوم 30 كيلو تنهدت بقوة وهي تقول: ممتاز.. ما بقي إلا القليل.

وفي مدخل المحافظة بعد أن عبرت بوابات المحافظة كان هناك ازدحام نسبي في المرور، وكانت السيارات تقف في قلب الميدان الذي تتوسطه نافورة فرعونية على شكل دلافين زرقاء، مرت بالسيارة من فوق كوبري ضيق يؤدي إلى ميدان له أربع تقاطعات متقابلة.. وقفت في الإشارة وهي تراقب الطريق، اقترب منها رجل الشرطة الذي ينظم المرور وهو يشير لسيارتها كي تمر.. أبطأت وهي تقترب منه قائلة: لو سمحت، هل تعلم كيف أذهب إلى جبل الأشباح أو الأساطير؟

نظر إليها لحظة بتمعن ثم أجاب بحسم وهو يسمح للسيارات بالمرور: لا يوجد مكان بهذا الاسم يا أستاذة.

مطت شفتيها وهي تقول ببساطة وهي تعبر بسيارتها الميدان: أشكرك..

سلكت أول طريق على يمين الميدان وهي تقول: لا بد من أن طريقًا ما يؤدي إلى هناك مباشرة.

أوقفت سيارتها عند أول تقاطع وهبطت من السيارة برشاقة وهي تضع نظارة الشمس على عينيها، واقتربت من أحد عمال النظافة قائلة: السلام عليكم.

رد الرجل السلام وهو يتطلع إليها بفضول

تابعت قائلة وهي تراه يزيح الأتربة المجاورة للرصيف في أكوام هرمية الشكل بمقشته الكبيرة: أبحث عن جبل الأشباح، فهل تعرف كيف أذهب إليه؟

تابع الرجل عمله بلا مبالاة قائلًا: سمعت عنه، لكنني لا أعرف مكانه تحديدًا؛ ربما كان على أطراف المدينة.

ابتسمت قائلة بسعادة: أشكرك.

توجهت إلى سيارتها قائلة: كنت أعلم أنه حقيقة.

غيرت اتجاه سيارتها.. عبرت الطريق المعاكس، وبكل إصرار ونشاط قطعت الطريق الأسفلتي المؤدي إلى أطراف المدينة، وبالقرب من كشك سجائر أوقفت السيارة.. هبطت منها.. مدت يدها وأخرجت زجاجة مياة معدنية، وزجاجة عصير جهينة، وشرعت تشرب العصير وهي تنظر إلى صاحب الكشك بدقة، الذي نظر بدوره إليها بفضول كأنه يعرف أنها غريبة عن المكان.

وضعت في يده النقود وهي تقول: كنت أبحث عن جبل الأساطير؟ هل تدلني على طريقه؟ أو تساعدني في الوصول إليه؟

نظر إليها صاحب الكشك الأربعيني قائلًا بخوف: لماذا تريدين الذهاب إليه يا أستاذة؟

لـن أخبـركِ عـن مكانـه، أوصانـا اللـه بـألا نلقـي بأنفسـنا فـي التهلكة!!!

تنبهـت حـواس غادة، أخـذت منـه الباقي وهي تقـول متظاهرة باللامبالاة: لماذا تقول ذلك؟

نظر إليها الرجل وقال بحسم: لأننا لم نسمع عن شخص وصل إليه وعاد سليمًا حتى الآن!!!

قالت غادة بفضول: لكنه موجود، وليس أسطورة كما يقال!

تطَّلع إليها بدقة قائلًا: لماذا تسألين؟

ردت ببسـاطة: الأمر وما فيه أنني صحفيـة، وأريد عمل تحقيق عنه.

قـال بحسـم: اطمئني هـو موجود وحقيقـة لا يمكـن إنكارها؛ لكنني لن أدلك عليه، ولن يدلك أحد.

لن يخاطر أحد ويتحمل ذنبك!!!

نظـرت إليـه غـادة بتعجـب وهـي تتمتم: الأمـر يـزداد غموضًا وتشويقًا.

نظرت إليه قائلة بحسم: أشكرك.

وتوجهت إلى سيارتها قائلة: يبدو أن الأمر يستحق العناء بالفعل.

وقادت سيارتها بضع دقائق أخرى، وأمام أحد المقاهي أوقفت السيارة على جانب الطريق، وترجلت منها متجهة إلى داخل المقهى.. أسرع إليها العامل وهو يرشدها إلى مقعد خشبي عليه صورة توت عنخ آمون

في منتصف الكافية أمام البوابة الرئيسية للمكان وهو يقول: أوامرك يا أستاذة؟

نظرت إليه غادة وهي تضع رجلًا على أخرى قائلة: كوب شاي بدون سكر.

أشار الشاب إلى عينيه وهو يقول: حالًا.

كان العامل شابًّا عشرينيًّا، أسمر اللون، نحيفًا، شعره مجعد كثيف، ومتوسط الطول، يرتدي قميصًا وبنطلون قماشًا بني اللون، ويضع (مريلة) بيضاء على خصره.

بعد قليل أتى وهو يضع أمامها - على المنضدة المعدنية ذات الأرجل الثلاثة - الشاي وكوب ماء.

أخذت تجول ببصرها في المكان، كان المقهى غير ممتلئ بالرواد، كانت تجلس وعلى مقربة منها ثلاثة شباب في منتصف العشرينيات، يرتدون ملابس رياضية بسيطة، وعلى مقربة منها أيضًا شاب صغير، يبدو من ملامحه الفتية أنه ابن سبعة عشر عامًا،

يختلس النظر إليها كل حين وآخر، كأنه متعجب لكونها الفتاة الوحيدة التي تجلس معهم في المقهى، أو ربما يشعر أنها غريبة عن المكان وليست من أهل المحافظة.

نادت العامل بعد أن شربت الشاي وفي أثناء إعطائه ثمن المشروب قالت له بهدوء: أبحث عن مكان هنا، هل يمكنك أن تدلني عليه؟

قال بسعادة: اكيد أنا أحفظ كل شبر من محافظتنا الجميلة.

ابتسمت غادة وهي تقول: ممتاز.

هل تعلم أين يقع جبل الأساطير أو الأشباح كما تطلقون عليه؟

نظر إليها بفزع وقال بجدية وابتسامته تتلاشى: أعلم مكانه؛ لكن ليس من الصواب ذهابك إلى هناك.

نظرت إليه غادة متظاهرة بالدهشة: لماذا؟

قال بجدية: لأنه مكان مليء بالأخطار، كل ما يقال عنه حقيقة للأسف.

قالت غادة بفضول: حقًّا.. كيف؟

قال وهو يتلفت حوله: سمعت والدي يتحدث عنه مع أحد أصدقائه، وقد حذره أبي من الذهاب إلى هناك، ولكنه لم يستمع إلى تحذيرات أبي وذهب إلى هناك، ولم يعد من وقتها!!!

قالت غادة وهي تستمع باهتمام إلى كل ما يقال: وهل أبلغتم رجال الشرطة عن اختفائه؟

أجـاب بلهجة الواثق من كلامه: بالطبع واعتُبر مفقودًا من ثالث يـوم؛ لكن لـم يذهب أحـد للبحث عنه؛ لأننـا هنا نتعامـل مع هذا المكان الملعون كأنه غير موجود في نطاق المحافظة.

الحكومـة لا تريـد تسـليط الضوء عليه حتى لا يؤثـر الأمر على حركة السياحة بالمحافظة.

هزت غادة رأسها قائلة: آه، فهمت.

لكنك تعلم أين مكانه، أليس كذلك؟

قال بحذر: لماذا تسألين عنه؟

قالت غادة ببسـاطة ولا مبالاة: أنا صحفية، وسـوف أكتب عنه، وكنت أريد أن ألتقط له صورًا.

قـال بخوف: آه، يمكنني إرشـادك إلى مكانـه، لكنني لن أفعل؛ لأن التواجد في محيطه خطر.

قالت غادة بحسم وهي تغادر المكان: حسنًا.

غـادرت المقهـى باتجاه سـيارتها.. وجـدت الفتى ابن السـبعة عشر عامًا ينادي عليها قائلًا: يا أستاذة.

التفتت إليه بتساؤل...

وقـف وهو يلهث قائلًا: سـمعت حديثك بالداخـل يمكنني أن أرشدك إلى مكانه.

تهللت أسارير غادة قائلة: حقًّا.. أين؟

قال بهـدوء: إنه على الجهة المقابلة للبحيـرة، على حدود قرية الجواهرجي، إنه بالقرب من منطقة المقابر المشهورة هناك.

ابتسـمت غادة بسـعادة ومـدت يدها وهـي تضع في يـده بضع جنيهات

أخذها سعيدًا.

وفي السيارة تنهدت غادة بسعادة وهي تقول: وأخيرًا.

سـألت أحد رجال المرور كيف تتجه إلـى بحيرة قارون، فدلها على الطريق.

سارت بسيارتها بمحاذاة البحيرة على كورنيش المحافظة وهي تتطلع إلى لمكان متمتمةً: مستحيل أن يكون هنا، لا بد أني ضللت الطريق.

أوقفت السيارة بجوار أحد الباعة الذي يبيع أدوات صيد:

السلام عليكم.

رد الرجل: وعليكم السلام سيدتي.

- أريد الذهاب إلى منطقة المقابر.
- أكملـي طريقك إلى الآخر، ثـم انحني يمينًا حتى تبتعدي عن شاطئ البحيرة تمامًا ثم انحني يسارًا.
- أشـكرك. وانطلقت بالسـيارة وهي تشـعر بسـعادة؛ لأنها اقتربت من حل هذا اللغز.

بعد ما يقارب النصف ساعة من البحث، وجدت نفسها أمام طريق أسفلتي عريض مغلق تمامًا بحجارة ضخمة، وأمامه لافتة مكتوب عليها منطقة استصلاحات.

أوقفت السيارة بالقرب من الطريق وهي تهتف بحنق: تبًّا الطريق مغلق؛ يبدو أنني قد ضللت الطريق.

ألقت نظرة سريعة على المكان الذي كان مغلقًا تمامًا بالحجارة المكعبة الشكل.

رن جرس الهاتف، فانتفضت بفزع، أمسكت الهاتف وهي تطالع الرقم، كانت صديقتها هدى، التقطت أنفاسها وهي تحدث هدى قائلة: أهلًا يا عزيزتي.

لم أصل إليه حتى الآن، اطمئني، سأطلعك على كل ما يستجد، وداعًا.

بمجرد أن وضعت الهاتف بجوارها على المقعد سمعت نقرًا على الزجاج المجاور لها.

التفت بفزع.. فوجدت رجلًا ضخم الجثة، يرتدي نظارة شمس سوداء، تخفي الجزء الأكبر من وجهه، وهو يقول بخشونة:

ما الأمر؟ هل تحتاجين شيئًا؟

قالت غادة بتوتر وهي تخفض زجاج النافذة:

أبحث عن جبل الأساطير؟

قال لها بخشـونة وصرامة أفزعتها وأثـارت توترها: هذه منطقة استصلاحات، هو في نهاية الطريق عند المقابر.

هزت غادة رأسها قائلة وهي تدير السيارة مغادرة: حسنًا.

وبمجـرد أن ابتعدت تنهدت بقوة، وهي تراقبه في مرآة السـيارة هاتفة: من أين أتى هذا العملاق؟ لقد أفزعني ظهوره المفاجئ!!!

وبالقـرب من منطقة المقابر وجدت سيدة عجوزًا تبيع الورد.. وقفت بجوارها وهي تنتقـي بعض الوردات المختلفة وهي تقول: هل تعلمين كيف أصل إلى جبل الأساطير؟

قالت السـيدة ببسـاطة: إنه الطريق الموازي لمنطقة المقابر، ثم قالـت وهـي تتأمل غـادة: لحظة أعتقـد أنه مغلق للاسـتصلاحات حاليًّا.

تمتمت غادة بحنق ونفاذ صبر: تبًّا.. تبًّا.. كنت هناك.

أعطتها النقود وتوجهت إلى سيارتها بسرعة، وانطلقت بسيارتها متجهة إلى منطقة الاستصلاحات.

وبالقـرب مـن المنطقة أوقفـت سـيارتها على جانـب الطريق، وهبطت ومعها كاميرا تلتقط صورًا للمكان بوجه عام.

وظلت تسـير وسط الطريق.. كانت المنطقة خالية من أية حياة، ولا يوجـد بها أي إصلاحـات، ولكنها مليئة بالأحجـار الضخمة. ظلت تسير وتسـير، ظلت على هذه الحال عدة ساعات. أخرجت هاتفهـا وأخـذت تبحث عن شـبكة كي تجـري اتصالًا. لـم يلتقط

هاتفها إلا إشارة ضعيفة استطاعت أن تتصل بصديقتها هدى قائلة بإرهاق ويأس:

يا هدى، لم أصل إليه صدقيني، لا يعلم عنه أحد شيئًا!!

وإذا قابلت أحدًا يعلم عنه شيئًا فإنه لا يعرف مكانه، وإنما يقول سمعت أنه في المنطقة، وأن به كذا وكذا. لقد بدأت أشعر بالملل.

وبدرت منها التفاتة للخلف وهي تحدث صديقتها.. لمحت وسط الحجارة الضخمة جبلًا شاهق الارتفاع، وتعلوه في القمة فتحة كبيرة!!

أنهت مكالمة صديقتها، وعيناها متعلقتان بالجبل بشغف، فالتقطت له صورة، وواصلت طريقها مخترقة الصخور بصعوبة، وتوقفت أسفل الجبل الشاهق الارتفاع، والذي تحجبة الصخور الضخمة المتناثرة حول المكان بكثرة، وأخذت تنظر إليه بفضول وشغف.

وشعرت بشيء يجذبها تجاه هذا المكان، وخُيِّل إليها أنها كانت هنا من قبل!!

وتعجبت من هذه المشاعر التي سيطرت عليها، لكنها هزت رأسها رفضًا للفكرة محدثة نفسها: يبدو أنني تأثرت كثيرًا بالأساطير التي تثار بشأنه!! وانتزعها من شرودها وأفكاراها صوت صهيل حصان بالقرب من المكان تتبعت الصوت ودارت حول الجبل، وجدت حصانًا عربيًّا أصيلًا، أبيض، جميلًا، ضئيل

الجسـم، يقـف بالقرب من إحدى الصخور، ومقيدًا بجذع شـجرة مقطـوع ومحروق. ابتسـمت وهـي تقترب منه بدهشـة قائلة: خيل عربي أصيل في هذا المكان المهجور؟!

اقتربت منه مندهشـة وهي تقول: تُرى، ماذا يفعل هذا الحصان هنا؟

اقتربـت منه بحذر وأخذت تربِّت على رأسـه بهدوء وهو يطلق صهيلًا كأنه سـعيد. أخذت تربِّت على رأسـه بسعادة قائلة: من أين أتيت أيها الصديق؟

تُرى، هل ضللت الطريق؟ أم تراك تبحث مثلي عن الكهف؟

سمعت صوتًا ينبعث من خلفها يقول بهدوء: أرى أنك وجدت صديقًا!

تراجعـت للخلف بفزع وهي تلتفت إلـى مصدر الصوت وهي تنتفض بذعر قائلة: يا إلهي.. أفزعتني!

وجـدت محدثها شـابًّا رياضيًّـا مفتول العضـلات، يضع نظارة شمسـية تخفي الجزء الأعظم من وجهه، ويرتدي ملابس رياضية: تيشـرت أبيض، وبنطلون تيرنج أسود، و حذاء رياضيًّا. يقف عاقدًا ساعديه أمام صدره.

قائـلًا: ألا تدريـن أنـه مـن الخطـأ وجـودك فـي هـذا المـكان المهجور؟

نظرت إليه بتمعنٍ ثم أجابت ببساطة: ضللت الطريق.

قال لها بجدية: لا بد أن تغادري.

قالـت له وهي تحاول السـيطرة على توترها: ومـن أنت يا ترى حتى تقرر من يتواجد ومن لا يتواجد؟

تلفـت حولـه بحـذر ثـم اقتـرب منهـا خطـوة قائلًا: آسـف إذا أفزعتك، ولكن وجودك هنا يمثل خطرًا على حياتك.

حدقـت فـي وجهه لحظة بدهشـة، ثـم قالت بعصبية: اسـمع يا هـذا، لسـت أدري من أنـت، أو ماذا تهدف مـن وراء حديثك هذا، ولكنني أريدك أن تعلم أني من يقرر متى وأين أتواجد أو أغادر؟

نظر إليها مندهشًا وهو يدنو منها قائلًا: استمعي جيدًا لما أقول. عودي أدراجك حرصًا على سلامتك!!

نظرت إليه بفضول وقالت: وما أدراك أنني لن أعود؟

ابتسـم قائلًا: إحساسي. همت بقول شيء، لكنها فكرت بما أنه موجـود هنا فربما تكون لديـه معلومات عن الجبـل وهذا الكهف الذي يعلوه.

نظرت في ساعتها وتطلعت إليه ثم ألقت نظرة على الكهف من أسـفل، ثم قالت له وهي تنزع نظارتها الشمسية:لم لا نتعرف أولًا، ثم نقرر ماذا سنفعل؟

نظـر إليها بدهشـة شـديدة واتسـعت عيناهـا عـن آخرهما وهو يقترب منها هاتفًا: مستحيل!!

حدقت به بدهشة قائلة: مستحيل أن نتعرف!!

حدق في وجهها مليًّا محاولًا ترتيب أفكاره، وتنقية ذهنه، والسيطرة على نفسه ثم قال: آسف.. أنا أمير.

قالت: غادة صحفية في جريدة النهار.

ربتت على ظهر الحصان والتفت إليه قائلة: سيدي ماذا تفعل هنا؟

نظر في عينها لحظة، ولأول مرة يلفت نظرها أنه يتأملها باندهاش قال لها: كنت سأسألك نفس السؤال؟

- هل نسيت أني صحفية، وأنت؟

- حارس.

نظرت إليه بشك لحظة كانت هيئته مختلفة؛ ملابسه، تكوينه الجسماني يدلان على غير ذلك، وأنه يخفي شيئًا ما.

قالت له مبتسمةً: تُرى ماذا تحرس هنا؟

ضحك وهو يقول لها: أنا أعمل بالقرب من هنا، وكنت أقوم بجولة في المكان.

ضحكت دون أن تعلق فقال:

- ما الأمر؟

- لم أقتنع.

قال مبتسمًا: بمَ؟

قالـت بجدية: على محاولاتـك منعي أو تخويفـي من التواجد هنا!!

ابتسم وهو يقول: صدقيني هذا هو أفضل شيء.

قالت بعد لحظة صمت: حسنًا.. في كل الأحوال كنت سأغادر، وهنيئًا لك ذلك الحصان.

ربتت على ظهر الحصان بقوة وهي تقول له: إلى اللقاء.

هبطت بسـرعة ورشـاقة وقبل أن تبتعد عـن الجبل وقفت وهي تلقي نظرة أخيرة على الكهف.

وتنهدت في عمق وعادت إلى السـيارة وظل أمير يراقبها وهي تواصل شق طريقها برشاقة وتنهد بقوة مرددًا:

حمـدًا لله أنها انصرفت، وتطلع إلى الكهـف من مكانه محدثًا نفسه: تُرى لماذا أتت؟ ومن دلها على المكان؟

ثم امتطى الحصان.

وشق طريقه في اتجاه معاكس لطريقها.

■■■

وعادت هي لمنزلها قبل منتصف الليل بساعة.

ألقت نظرة على أمها النائمة في غرفتها، وأغلقت الباب بهدوء، وذهبت إلى غرفتها، ألقت حقيبتها بإهمال على السـرير، وجسدها على أقرب مقعد وهي تمتمم: كان يومًا حافلًا.

بعد قليل بدلت ملابسها، وأعدت كوب شاي ساخن، وساندوتش جبنة، وجلست على مقعد أمام مكتبها، وهي تنقل الصور التي التقطتها كاميراتها على جهاز الكمبيوتر الخاص بها، وبعد أن تمت عملية نقلهم أراحت ظهرها إلى الخلف، وهي تمدد قدميها على مقعد مقابل، وجلست تشاهد الصور بتركيز وفضول وشغف، وتقول: لماذا لا يريدون أن يقترب أحد ما من المكان؟ أرى أن الأمر بدأ يزداد غموضًا وتشويقًا. وأوقفت الماوس على صورة الكهف، وأخذت تتطلع إليه بتساؤل: تُرى، ما الأمر المهم الذي يدور بداخله؟ ومن ذلك الشاب؟

ومن أين أتى...؟ وكيف ظهر بتلك الصورة المفاجئة...؟

تنهدت بعمق، وأغلقت عينيها وهي تقول: لن يهدأ لي بالي إلا إذا قمت بزيارة الجبل مرة أخرى، وتسلقته، وزرت هذا الكهف!!

لا بد من كشف سر غموض هذا المكان.

■■■

وعلى جانب آخر في أحد الأماكن جلس الشاب في غرفة حجرية كبيرة وهو يفكر محدثًا نفسه: تُرى، ماذا تريد تلك الفتاة؟ ومن الذي دلها على المكان؟ ماذا تريد؟ وما المعلومات التي لديها؟ وما هذه الجرأة والفضول اللذان تملكهما؟!

وتذكر وجهها، وردود أفعالها، وتنهد بعمق وحزن، وتأمل الغرفة الحجرية التي يمكث بها، وبدا على وجهه التأثر، وهو يقول

بحسم: لن تنجح محاولاتك أبدًا في الاقتراب من هذا المكان. وعزم أمره على شيء واحد فقط، هو منعها من الوصول إلى ذلك الكهف بشتى الطرق.

■■■

وفي اليوم التالي استيقظت غادة من نومها، وهي تشعر بإجهاد، لكنها تذكرت رحلة الفيوم أمس، وما كان بها من تشويق وغموض، مما أعاد شحن طاقتها. نفضت كسلها وشعورها بالتعب جانبًا، واتصلت بهدى تخبرها أنها لن تستطيع الحضور؛ لأنها تشعر بالتعب بعد رحلة البحث عن الجبل في اليوم السابق، وارتدت ملابسها على عجل بعد أن اطمئنت على أمها، وهبطت السلم برشاقة، وبعد لحظات قادت سيارتها متجهة إلى محافظة الفيوم. بعد حوالي ساعتين وصلت إلى المكان، وأوقفت سيارتها بالقرب من أحد الطرق القريبة من المنطقة المسماة بمنطقة المقابر.

وهبطت منها مسرعة، كان اليوم لا يزال في بدايته، وعزمت أمرها على أن تتسلق الجبل.

أخذت تخترق الصخور ركضًا تارة، وسيرًا تارة أخرى، وكلما تسلقت الجبل أكثر ألقت نظرة إلى أسفل الجبل، وهي تقول: لا بد أن أعرف ما يخفيه هذا المكان.

ظلت تتسلق الصخور بصعوبة وكلما اقتربت أكثر من الكهف ازداد الأمر صعوبة وازداد الطريق انحدارًا.

ظلت تتسلق بعناد، ووقفت تلتقط أنفاسها، وجلست تستريح قليلًا.

أخرجت هاتفها، وجدت أنه لا يستطيع التقاط أي شبكة.

تنهدت بقوة، وواصلت صعودها، وعندما اقتربت أكثر من فتحة الكهف ازدادت حماسًا وهي تقول بظفر: وأخيرًا وصلت.

وألقت بجسدها داخل الكهف، وظلت جالسة برهة، وهي تلتقط أنفاسها بصعوبة، وهي تلقي نظرة على المكان من أعلى وقالت: يا إلهي، المنظر جميل!!

بعد أن انتظم نفسها، أخرجت زجاجة المياه، وتجرعتها كاملة، وتلفتت حولها لحظة وهي تقول: سجل يا تاريخ أني أول مرة أتسلق جبلًا في حياتي.. وأخذت تسير داخل الكهف بحذر وببطء. كانت لا تسمع إلا صوت أنفاسها وأقدامها وهي تمر على الحجارة والصخور والرمال المتناثرة على الأرضية الصخرية الجيرية اللون.

واصلت طريقها إلى داخله، وفجأة.. وجدت أمامها ثلاثة طرق؛ فتحات بيضاوية الشكل تسمح بمرور شخص بالغ.

وقفت في حيرة.. أي طريق تسلك؟! ولكنها عزمت أمرها، وسلكت أولهم وهي تقول: على بركة الله.

ما إن سارت بداخله بضع دقائق قليلة حتى انبعث في المكان صوت ضجيج يصم الآذان. فزعت بشدة، ووقفت مكانها، وهي

ترتعد محدثة نفسها قائلة: هذا ليس حقيقيًّا. هذه تخيلات. تغلبي على مخاوفك!

تماسكت وقالت بعناد: لن أعود.. لا بد أن أعرف سر هذا المكان!!

واصلت سيرها وكانت الأرض بدأت تستوي وتصبح أكثر نظافة، لفت نظرها هذا الشيء.

تابعت سيرها إلى الداخل خلال الممر الدودي الشكل الحجري، وبدأ الطريق يزداد ظلامًا.

أخرجت هاتفها وأخذت تسير على ضوئه.

وفجأة.. شعرت بصوت حفيف يقترب منها بحذر

التصقت بالجدار وهي ترهف السمع بحذر وهي تسلط الضوء على كل ما يحيط بها، ثم تماسكت وقالت مشجعة نفسها: غادة هذا ليس حقيقيًّا.

سارت بحذر وببطء، وفجأة.. وجدت قبضة قوية تطبق عليها وتجذبها بقوة، وألصقتها بالجدار مكممة فمها، وسمعت صوتًا يقول:

عودي أدراجك.

اتسعت عيناها بفزع، وهي تحاول اختراق الظلام، والتعرف على هوية مهاجمها، لكن الظلام حال دون ذلك؛ لم ترَ شيئًا،

وسـقط هاتفها منها بعد أن جذبها هذا الشخص وألصقها بالجادر. ارتعدت بشدة وفزع، وانتفض جسدها بقوة.

قال صاحب الصوت بهدوء هامسًـا: الآن سأزيح يدي من على فمك لا تصدري أي صوت. هزت رأسها موافقة بذعر.

أزاح يده عن فمها؛ فسقطت بين يديه فاقدة الوعي.

انحنـى يتفحصهـا لحظـة، ونظـر إليها بحـزن وأسًـى، وحملها بسـرعة وسـار بها في عدة ممرات دودية الشـكل هابطًا بها بسرعة وخفة وحذر.

فتحت غادة عينيها لحظة وخُيِّل إليها أنها تحلم.

كانت الصورة مشوشة، ضبابية، لكنها استطاعت على الأضواء الخافتة - التي تضيء الممرات التي سلكها من يحملها - أن تتعرف على وجه حاملها الذي واصل ركضه بسرعة وخفه ورشاقة.

بمجرد مرور الشخص حاملًا غادة من أحد الممرات هابطًا أحد السـلالم الصخرية المؤدية لأسفل الجبل، وقف شخص آخر على إحـدى الدرجات الصخرية بعد مرورهما مـن أمامه، ظل يتابعهما بحذر، وهو يحك ذقنه بنية اللون بيده، بشك وريبة، وراقب الشاب وهو يبتعد بأقصى سـرعة مغادرًا الجبل وهو حريص على أن يصل لأسـفل الجبل قبل أن تسـتعيد هي وعيها، وقبل أن ينتبه إليهما أي من الموجودين داخل المكان.

ومـا إن خطـا خطوة فـي الاتجـاه المعاكس لمـح شـيئًا معدنيًّا يضـيء في الظـلام ملقى علـى الأرض، انحنـى والتقطـه، فوجده انسيال ذهبيًّا.

أطبق عليه في كفه بقوة وعلى وجهه ابتسامة غامضة.

■■■

أسفل الجبل أرقدها الشاب على إحدى الصخور.

ووقف يلتقط أنفاسـه وهو ينظر إليها وهي فاقدة الوعي، وشعر بشـوق شـديد، ومرر يده علـى وجهها مزيحًا شـعرها عن وجهها، وأغمض عينيه بقوة، وقف أمامها والألـم يمزق قلبة تمزيقًا، وبدأت الأمطار في الهطول.

انحنى والتقط حقيبتها، وأخذ يتفحص محتويات الحقيبة، وجد بها أوراقًا شخصية، وهويتها، وتوقف كثيرًا أمام صورتها.

ثـم وجد لها صورة مـع إحدى صديقاتها، أخذهـا وألقى عليها نظرة أخيرة.

ونـزع معطفـه، وغطاهـا بـه ووجـد أنهـا بـدأت تفيق، فأسـرع بالاختباء خلف إحدى الصخور الضخمة، وهو يراقبها.

فتحـت غادة عينهـا ببطء عندما تسـاقطت قطـرات المطر على وجهها، وتنبهت بسرعة لمكانها، انتفضت واقفة في ذعر، وتلفتت، حولها بحيرة، وجدت نفسها أسفل الجبل!!!

وقفت تنظر إلى قمة الجبل متسائلة: كيف وصلت لمكانها الحالي بهذه السرعة؟ نظرت أمامها فوجدت حقيبتها، مدت يدها والتقطتها وهي تفتحها متفقدة ما بها.. لم يسرق منها شيء، وتنبهت إلى المعطف الذي سقط من عليها، انحنت والتقطته.

تلفتت حولها متذكرة ما حدث، وحاولت تذكر ملامح الشخص الذي حملها، لكنها لم تستطع أن تتذكر سوى شبح وصورة باهتة لرجل كان يحملها وهو يركض، أمسكت المعطف، وقربته من أنفها، وبدا لها

أنها تعرف هذه الرائحة، تلفتت حولها مرة أخيرة، وأخذ المطر يهطل بغزارة.

ارتدت المعطف وألقت نظرة أخيرة على المكان.. وعلى الكهف.

واصلت طريقها مبتعدة عن الجبل، وكان هو يتابعها على بُعد، حتى تأكد من أنها ركبت سيارتها.

وقف يراقبها من بعيد.. وجدها تمسك ياقة المعطف، وتتشممه مرة أخرى، وتنهدت في عمق وأدارت السيارة مغادرة المكان.

وعاد هو أدراجه في سعادة؛ لأنه نجح في إخراجها من المكان بلا أية خسائر!!

■■■

أثناء قيادة غادة السيارة مغادرة محافظة الفيوم متجهة إلى منزلها كانت متجهمة وتستشيط غضبًا؛ لأنها كانت قاب قوسين أو أدنى من كشف سر هذا المكان الغامض، كانت تستعيد كل ما حدث داخل الكهف بشغف وهي تردد: مستحيل أن أنجح في تسلق الجبل وأن ينتهي الأمر على هذا النحو!! مستحيل!!

زفرت بقوة وهي تفكر في الخطوة القادمة التي ستتخذها

وعادت مرهقة للمنزل بعد عدة ساعات، وجلست في غرفتها مهمومة وغارقه في أفكاراها وهي تقول: تُرى، من يكون ذلك الشخص؟ ولماذا لا يريدني أن اذهب إلى هناك؟ لماذا يمنعني من الاقتراب من هناك؟

وألقت نظرة على المعطف، مدت يدها إليه وأخذت تمرر يدها عليه، وهي مندهشة وتشعر بمشاعر متضاربة.

خوف.. حنين.. شوق.. والتقطت صورة الكهف، وأخذت تنظر إليه

وهي تحدث نفسها: تُرى، ما الأمر المهم الذي لا يريدنني أن أعرفه؟

■■■

وعلى جانب آخر جلس شاب مفتول العضلات يرتدي ملابس عسكرية مموهة على سرير صغير في غرفة مربعة صخرية الجدران قليلة الأثاث بها سرير ومكتب خشبي أسود اللون وثلاجة صغيرة

ودولاب جرار في أحد أركان الغرفة الحجرية، ومكتبة كبيرة خلف السرير، ومقعدان جلدًا، واستلقى على السرير وهو يتنهد بقوة، متذكرًا تلك الفتاة التي كانت منذ قليل بين ذراعيه غائبة عن الوعي، وخفق قلبه بقوة وهو يتذكر لحظة إزاحته شعرَها عن وجهها، وارتعدت أوصاله وهو يخرج صورتها من جيبه.. ينظر إليها بشوق وحب. وفجأة.. سمع طرقًا على باب غرفته، أسرع بإخفاء الصورة وهو يقف قائلًا: تفضل.

دخل أحد الجنود مؤديًا التحية العسكرية باحترام قائلًا: سيدي، الجنرال هتان يريدك على الفور.

سار الشاب مع الجندي في ممر صخري دودي الشكل ضيق منخفض السقف، تضيئه المشاعل على الجانبين.

في نهاية الممر انعطف يمينًا؛ حيث يوجد مكتب الجنرال هتان.

بمجرد أن دلف لمكتب الجنرال وجد الجنرال يقول له: تفضل.

جلس الشاب على المقعد، وعيناه متعلقتان به.

قال الجنرال بحذر: أخبروني أن أجراس الإنذار دقت اليوم. ما الأمر؟

رد الشاب بسرعة: كان أحد الحيوانات البرية يا سيدي.

قال الجنرال بعد لحظة صمت يشوبها حذر: آه، أبلغوني بالأمر.

ثم دقق النظر في ملامح الشاب كأنه يحاول قراءتها، ثم تابع قائلًا:

أنت تعلم يا بني أنه لم يتبق لي من الماضي إلا أنت.

نظر الشاب إليه وقال له: وأنا طوع أمرك يا سيدى.

قال الجنرال وهويطبق على الانسيال الذهبي في يده بقوة، وهو يقوم من خلف مكتبة مقتربًا من الشاب: أنت شريكي في تلك القاعدة يا ولدي لا تنسَ ذلك.

هز الشاب رأسه قائلًا: وأنا في خدمتك يا سيدي.

وتذكر الجنرال فجأة كيف أنه منذ عشرات السنين تقابل مع هذا الشاب في أحد المستشفيات الخاصة بمصر الجديدة، وأن الشاب كان تلميذًا نجيبًا له حينما كانا يديران المستشفى الخاص بالتلقيح الصناعي.

ثم تعلقت عينه بالشاب قائلًا: أحببت أن أذكرك أنه يجب ألَّا يقترب أي مخلوق من تلك القاعدة، وأن تظل كما يعتقد الناس أنه مكان مسكون بالأشباح!!

ابتسم الشاب بتوتر دون تعليق.

قال الجنرال: احترس يا ولدي، أنت الوحيد المتبقي لي من العائلة.

خفق قلب الشاب في قوة وتذكر حبيبته، وهي تموت برصاص أحد الجنود.

قال الشاب: اطمئن يا سيدي؛ سأكون عند حسن ظنك دائمًا.

أشـار له الجنـرال بالانصراف. وقبل أن يغادر قـال له الجنرال: أيهـا الجندي. التفت إليه الشـاب، فأكمل الجنـرال: كان لا بد من اكتشاف مصل يمحي الذكريات، ويقضي على العواطف.

هز الشـاب رأسه موافقًا إياه وأطرق برأسه في حزن، ثم قال له: سأكرس كل جهدي من أجل ذلك يا سيدى.

وغادر الغرفة بخطى ثابته متجهًا إلى غرفته.

وبمجـرد أن خلا بنفسـه ألقى جسـده على السـرير وهـو يتذكر حبيبتـه وهـي تُقتل أمامـه برصاص الجنـود على يـد أول جيل من الجنود المخلقين على يديه وعلى يد الجنرال.

أغلق عينيه في حزن وحسـرة لائمًا نفسـه علـى عجزه وتقصيره في إنقاذها وقتلهـا، متذكرًا كيف قابلها في المركز الطبي الموجود بأطـراف مدينة نصر، وكيف أنهـا كانت تقوم بعمل تحقيق صحفي عن أخطاء الأطباء، وكيف وقع في غرامها.

■■■

وفـى اليـوم التالي ذهبت غـادة إلى مكتبها، فوجـدت صديقتها تقـول لهـا: مرحبًا. أين كنـتِ أمس؟ علمـت أنك اختفيـتِ طوال اليـوم، وعلمت أيضًا من والدتك أنـك خرجتِ مبكرًا، وعدتِ في وقت متأخر؛ اتصلت بكِ وكان الهاتف غير متاح.

جلست على المقعد وهي تقول بضيق: لا شيء مهم؛ سقط مني الهاتف وتحطم، سأشتري غيره اليوم.

قالت هدى بفضول: تحطم!! كيف؟

ردت غادة ببساطة: سقط مني، فانكسرت شاشته.

راقبتها هدى لحظة ثم قالت: ما الأمر؟ تبدين مشغولة البال؟

- لا شيء.. أشعر فقط بالتعب.

- تبدين مرهقة فعلًا.

ثم اقتربت منها وهي تضع يدها على جبهتها ثم قالت لها: تبدين مريضة.

- لا أشعر أني بخير؛ يبدو أنني قد أصبت بإنفلونزا؛ فعظامي كلها محطمة!!

- استريحي أو اطلبي إجازة.

- معك حق؛ فأن أريد أن أسترخي، لكن هل تظنين أن رئيسنا سيوافق؟ لا أظن.

هزت هدى رأسها قائلة: لا ضير من المحاولة.

قالت غادة: أنت محقة سأحاول.

ردت هدى ببساطة قائلة: تروقين لي وأنتِ ضعيفة هكذا.

ضحكت غادة دون تعقيب.

■■■

بعد عدة ساعات، وفي منزلها، ظلت غادة حبيسة غرفتها لساعات، وألقت نظرة على المعطف. اتجهت نحوه وأمسكته

وهي تنظر إليه بحنق وألقت به على السرير قائلة بغضب: تبًّا.. تبًّا.. كنت على وشك أن اكتشف الأمر!

ثم تنبهت فجأة متذكرة شيئًا، وجلست وهي مندهشة محدثة نفسها هاتفة: هل من الممكن أن يكون الشاب الذي قابلته وكان معه الحصان

هو من أخرجني من الكهف؟!

واعتصرت ذهنها وهي تتذكر ملامح وجه من أخرجها من الكهف، ولكنها لم تستطع تذكر سوى صورة غير واضحة وضبابية!

وتذكرت حديثها معه أسفل الجبل، وتذكرت صوت الرجل الذي قابلها في الكهف..

اتسعت عيناها بغضب وهي تردد: المحتال.. المحتال.

وجلست على السرير وهي تشعر بالغضب هاتفه: تبًّا.. تبًّا.

وجلست على طرف السرير تسعل متوعدة إياه قائلة بضيق: حسنًا.. لن أستسلم... أنت البادئ.

استغرقت في تفكير عميق لساعات، ثم اتسعت ابتسامتها بعد أن توصلت إلى حل للأمر بأكمله متمتمة: إذًا كانت تحركاتي مكشوفة ومتوقعة، هكذا.. فلنصرف نظرك إذن.

وارتاحت لهذا الخاطر كثيرًا واتسعت عيناها وهي تضحك بظفر.

■■■

فـي اليوم التالـي بعـد أن ذهبت إلـى مكتبها في مقـر الجريدة، ذهبـت إلـى الجبل بعـد أن اتفقت مـع هدى على أن تغطـي غيابها إذا ما سـأل عنها أحد أو شـعروا بعدم وجودها. وأوقفت سـيارتها متعمدة بأقرب مكان من الجبل وظلت جالسة بداخلها برهة

وهي تنظر في مرآة السيارة قائلة: أين أنت؟

كانت تشعر أنه بالجوار ويراقبها؛ هتفت بغضب ألن تنتهي لعبة القط والفأر تلك؟!

تطلعت إلى سـاعة يدهـا وهي تقول بهدوء: هيا أظهر نفسـك؟ ماذا تنتظر؟

ترجلت من السيارة وهي مرتدية معطفة قائلة بحزم: سأنتظرك.

ظلـت واقفة مسـتندة إلى السـيارة وهـي تتلفت حولهـا محدثة نفسها قائلة: أين أنت؟ أين؟

وألقت نظرة على الجبل والكهف. كان هو يقف خلف أحد الحجارة الضخمة مكعبة الشكل، يراقبها محدثًا نفسه قائلًا: ماذا تفعل؟

وهم بالظهور، لكنه توقف عندما وجدها تخرج ورقة وتكتب شيئًا!

ظل يراقبها وتساءل: تُرى، ماذا تكتب؟

نظرت في ساعتها وألقت نظرة على الجبل وهي تحدث نفسها: هيا أظهر نفسك.

وتراجعـت بظهرها للخلف وهي تتأمل السـماء وعينها متعلقة بالجبـل والكهف الذي يتوسـطه. وجـدت هاتفها يـرن.. وجدت

هـدى تحدثها متسـائلة عن احوالها وصحتها ومسـتجدات الأمور معها ومستفسرة عن مكانها؟

أخبرتهـا أنهـا تحجز لأمها عنـد الطبيب.. تحدثـت معها قليلًا وأغلقت الهاتف.

وألقـت نظرة علـى المكان بسـرعة قائلة بصـوت مرتفع: أعلم أنك موجود.

ابتسـم الشـاب دون أن يظهر لهـا، طوت الورقـة ووضعتها في جيب المعطـف، ونزعت المعطف، وتركته على إحدى الصخور، ووضعـت فوقه حجـرًا، وألقت نظرة أخيرة علـى المكان، وركبت سيارتها وغادرت المكان بسرعة.

راقبهـا وهي تتبتعد نهائيًّاعن المكان، فأسـرع يلتقط المعطف، توقـف لحظـة وهـو يقربه مـن وجهـه ويتشـممه وتنهد بقـوة وهو يحتضنه وأغمض عينيه وهو يقول بصوت متهدج: يا إلهي كن إلي جانبي.. ساعدني. وتذكر أنها وضعت ورقة في جيبه.

أخـرج الورقة وجلس على إحدى الصخور وهو يقرؤها، كتبت تقول: جئت لأشكرك سأسافر إلى الصعيد.. وداعًا.

ظـل واقفًا مكانه لحظة محتضنًا البالطو، وهو يهمس: يا إلهي.. هذا يفوق احتمالي. وعاد الشاب لمكتبه، وأخذ ينظر إلى صورتها، وهو يتساءل: لماذا تصرين على المجيء إلى هنا؟ لماذا؟

وتذكـر وجههـا وهــي تحدثـه أول مـرة، وتذكرها وهــي فاقدة الوعي، وأغمض عينيه وهو يقول: يا إلهي، لقد ارتكبت العديد من الذنوب، فكن إلى جانبي، واحفظها، ولا تأخذها بذنبي.

■■■

وفي المنزل جلســت خلف شاشة الكمبيوتر تبحث بإصرار عن أية معلومات عن ذلك الجبل، وتتبعت تاريخه منذ عدة حقب، ولم يكن هناك ما يريب أبدًا فيه.

أغلقــت الجهاز وانضمت إلى والدتها في غرفتها، تشـاهد معها فيلمًـا كوميديًّا، فرحت والدتها عندما وجدتها تنضم إليها وتجلس بجوارها على السرير، وهي تتدثر معها بالغطاء الشتوي.

فــي الفاصـل الإعلانــي قالـت غـادة: كيـف حالـك يـا أمــي؟ سامحيني.. لقد انشغلت عنك الأيام الماضية؟

أجابــت والدتهـا مبتسـمة بحنـان: بخيـر.. لا يـزال الصداع لا يفارقني للأسف.

قالت غادة بحزم وجدية: سـأتصل غدًا بالعيادة، وأحجز موعدًا عند الطبيب بلا أيـة أعذار، أرجوكِ.. أريد أن أطمئن على صحتك يا أمي؛ لأن هناك احتمالًا كبيرًا أن أنشغل تمامًا الأيام القادمة، وقد أسافر أيضًا.

التفتت إليها رقية قائلة بخوف: تسافرين؟

أجابت غادة بشرود: احتمال كبير.. لقد رشحني رئيس القسم للقيام بتغطية لمعبد الدير البحري بالأقصر.

قالت رقية مستنكرة: الدير البحري؛ الصعيد يا غادة؟؟

قالت غادة وهي تفكر: نعم يا أماه سأذهب مع بعض الزملاء.

قالت رقية بحزن: هذه أول مرة تفارقينني فيها يا غادة منذ... وبترت عبارتها.

نظرت إليها غادة بتساؤل: منذ ماذا؟

قالت رقية بارتباك: لا تشغلي بالك كم يومًا ستكون الرحلة؟

نظرت إليها غادة بحذر وهي تجيب: لم نحدد بعدُ المدة، سوف أطلعلك على التفاصيل غدًا إن شاء الله.

وعادت لمتابعة الفيلم مع والدتها وهي ترسم الضحكة على وجهها، ورقية تتظاهر بالسعادة، وهي تضحك لمواقف بطل الفيلم، وقلبها يختلج خوفًا بين أضلعها، تشعر بأن أمرًا ما سيحدث؛ لكنها لا تعرف ما هو. تشعر بأن خطرًا محدقًا وأمرًا جللًا سيحدث، لكن لسانها يرفض التصريح بذلك، وعقلها ينهاها عن التفكير في هذه الأمور التشاؤمية، وهو يذكرها، بالمقولة التي تقول، (تفاءلوا بالخير تجدوه).

■■■

في نهاية اليوم التالي اصطحبت غادة والدتها إلى عيادة الطبيب في ميدان الجامعة العمالية بمدينة نصر.

بعد نصف ساعة من الانتظار في عيادة الطبيب التي تقع في الطابق التاسع من عمارات أول مايو؛ العيادة كانت عبارة عن شقة مكونة من ثلاث غرف، افتتحها الدكتور عيادة بعد أن أعاد تقسيمها إلى غرفتين متوسطتي الحجم، وريسبشن كبير مستطيل؛ الأرض مزينة بكسر الرخام المصمم على أشكال هندسية جميلة، والحوائط باللون الكريمي، والشرفة زجاج فاميه سميك، وعلى جانبي الريسبشن كراسي جلد سوداء، تطل مباشرة على غرفة الكشف، ومكتوب على يسار الغرفة اسم الطبيب هشام عطية، على لوحة نحاسية اللون، وعلى بعد أمتار قليلة يوجد مكتب صغير تجلس خلفه فتاة عشرينية، وهي تسجل أسماء المرضى في دفتر كبير، وأمامها تليفون أرضي نبيتي اللون، وهي تضع على عينيها نظارة طبية، وعلى رأسها طرحة زرقاء، وتضع على كتفيها بالطو روز، أسفله بلوزة بيضاء، وبنطلون قماش أسود، وترتدي في قدمها سابو جلدًا، الزي المميز للعاملين في أي مكان طبي أو مستشفى خاص.

بعد قليل سمعت غادة اسم والدتها فدخلت معها لغرفة الكشف.

جلست مع والدتها على المقاعد الجلدية السوداء التي تقابل الطبيب الذي عدل وضع نظارته على عينيه، وهو ممسك بقلم أزرق والروشته مستسفرًا: خيرًا؟

ردت غادة: أمي الصداع لا يفارقها أبدًا.

نظر الطبيب إلى رقية قائلًا: خيرًا؛ بماذا تشعرين يا ماما؟

أجابت: الصداع لا يفارقني، ودوار ونزيف بالأنف على فترات.

قالت غادة وهي تناوله ورقة: هذه خريطة للضغط، نصحني بها أحد الأصدقاء.

تفحص الطبيب المكتوب بها ثم وجه سؤاله إلى رقية وهو يقيس ضغطها: أي دواء تأخذين؟

ردت رقية: هذا. وأعطته جزءًا من علبة الدواء مكتوبًا عليه (كونكور).

قال الطبيب: الضغط عالٍ فعلًا.

- متى أخذتِ القرص اليوم؟

نظرت رقية إلى غادة ثم إلى الطبيب قائلة بتردد: نسيت أن آخذها اليوم..

تنهدت غادة بقوة ونظرت للطبيب الذي ابتسم قائلًا: الوالدة تهمل في نفسها يا آنسة.

لا بد من الانتظام في أخذ الدواء؛ قرص كل يوم سأغير نوع الدواء وكتب لها:

co-Tareg

أراكم الأسبوع القادم

غادرت غادة العيادة برفقة والدتها

■■■

بعد قليل أوقفت غادة السيارة،

بجوار محل عصير قائلة: ماذا تشربين يا رورو؟

.قالت رقية بسعادة: عصير قصب

قالت غادة بمرح: حسنًا أنا أيضًا سأشرب قصبًا.

وتوجهت للمحل وطلبت كوبي عصير قائلة وهي تناول والدتها الكوب:

بألف هناء يا رورو

ثم مالت عليها مازحة: لا تأخذين الدواء، وعندما أسألك تقولين: أخذته.

ضحكت رقية بمرح طفولي: مللت من الأدوية.

قالت غادة وهي تشرب العصير: الأدوية لا ملل منها يا رورو، لا نريد أن تسوء حالتك، ليس لي غيرك.

قالت رقية بجدية كأنها تريد أن تسمع هذه الكلمات من غادة: أعدك أن أنتظم.

ضحكت غادة قائلة: انسي، ستأخذين الدواء تحت تهديد السلاح، أقصد تحت إشرافي.

ضحكت والدتها بسعادة.

■■■

وبعد عدة أيام عادت غادة إلى عملها تتابعه بنشاط.

قالت هدى: ما أخبار تحقيق الجبل؟

التفتت إليها غادة قائلة بعد لحظة صمت: لا شيء، أبحث عن أمر آخر،

لم أجد به شيئًا مثيرًا.

ردت هدى بدهشة: بالرغم من أنك كنتِ متحمسة جدًّا له.

على العموم.. مصر زاخرة بالعديد من القصص المثيرة كل يوم.

قالت غادة: أنتِ محقة؛ كيف عرفتِ بأمر هذا الجبل؟ لم تخبريني؟

قالت هدى ببساطة: وردتني رسالة عبر الإيميل، تدرين تلك الرسائل التي محتواها مخلوق خرافي، لا تقفل قبل أن ترسلها لأصدقائك وتحمد الله. وردني بالمثل رسالة من بريد مجهول؛ خبر عن الجبل وأساطيره والجان الذي يسكنه والذي يعتبره البعض ينقل أصوات موتى يعذبون في الجحيم من أجل تذكرينا بالله ويوم الحساب.

قالت غادة متفهمة:آه، ثم تابعت.

الحقيقه أفكر في عمل تقرير عن الآثار في الدير البحري، وأجدها فرصة لزيارة مكان أثري عظيم، وحديث العالم، ومحل اهتمام دولي.

قالت هدى: موضوع رائع اختيار موفق. بالتوفيق.

ردت غادة بهدوء: سأقابل رئيس التحرير من أجل عرض الأمر عليه، والحصول على موافقته.

قالت هدى مبتسمة: تعلمين أنه لن يرفض أي أمر يخدم مصالح الوطن ويعلي من شأنه ويضيف له ويشجع على السياحة، سيفرد له العديد من الصفحات.. التعليمات صريحة.

ضحكت غادة بتهكم قائلة: أنت محقة نفرد الصفحات للأمور التجارية والترويجية والفضائح فقط.

ضحكت هدى قائلة: ونحن تخصص الفرع الأول فقط.

قالت غادة بهدوء: أكيد.. سألحق بالرئيس قبل أن يتبخر وداعًا.

وأسرعت مغادرة المكتب.

سارت في طرقة رخامية الأرض والهواء البارد يلفح وجهها قائلة: الرياح اليوم شديدة.

وضعت يدها في جيبها، وهي تخطو بسرعة متجهة إلى رئيس القسم في آخر الممر، قابلها بعض الرفاق وهم يلقون عليها التحية، حيتهم وواصلت طريقها.

وأمام مكتب رئيس القسم طرقت الباب الخشبي المزخرف بزخارف إسلامية بنية اللون:

- صباح الخير.

ردت السكرتيرة التي تقبع خلف مكتب بيضاوي أسود، عليه لوح زجاج سميك، وأمامها على المكتب (لاب توب) حديث

وهاتفها الجوال، وفازة فخار سوداء، بها باقة ورد مختلفة الألوان، وأمامها أوراق كثيرة تركتها وهي تنظر إلى غادة مبتسمة كاشفة عن صف من الأسنان الناصعة البياض؛ حيث كانت السكرتيرة فتاة في أواخر العشرين نحيفة وسمراء اللون مجعدة الشعر، تضع وردة برتقالية في شعرها، وترتدي ملابس فسفورية زاهية..

- صباح الخير، تفضلي يا أستاذة.

جلست غادة على المقعد المجاور لها قائلة: أريد مقابلة الأستاذ هاني؟

قالت السكرتيرة: للأسف عنده اجتماع مهم الآن.

قالت غادة بضيق: حسنًا.. سأنتظره.

قالت السكرتيرة: يمكنك أن تطلعيني على الأمر، وأنا سأخبره؛ لأن الاجتماع لا يزال في بدايته.

ولا أعلم متى سينتهي.

يمكنني إبلاغك بالهاتف بأي جديد.

قالت غادة مبتسمة: حسنًا.. أريدك أن تأخذي موافقته على هذا التصريح؛

لأن المطلوب مني أن أسلمه التحقيق قبل صدور العدد الأسبوعي.

قالت السكرتيرة: حسنًا.. سأدخل له بعد قليل سأطلعه على الأمر.

قالت غادة بسعادة وهي تغادر: وأنا بانتظار تليفونك أشكرك.

■■■

في خلال هذه الأيام

وقف أمير أسفل الجبل يربت على حصانه وهو يقول له: أتفتقد وجودها أنت أيضًا؟

هز الحصان رأسه وهو يصهل بسعادة كأنه يحاور أمير.

تنهد أمير قائلًا: أنت محق هذا أفضل و آمن لها، ليس لدي أية خيارات أخرى يا صديقي.

وأخرج صورتها من محفظته، وهو يتأمل ملامحها بحب وشوق

تنهد بقوة وهو يعيد المحفظة لجيبه ممتطيًا الجواد الأبيض كفارس من العصور الوسطى مخترقًا دروب الجبل برشاقة متعمقًا في الطرق ملتهمًا الطرقَ بجسارة متجهًا إلى داخل الجبل.

■■■

في المساء جلست غادة تتعشى مع والدتها معاتبة إياها وهي تنظر إلى أنواع الطعام التي وضعتها أمامهما أمها قائلة:

: يا رورو، يا حبيبة قلبي، لا بد أن تنفذي تعليمات الطبيب، خصوصًا الامتناع عن تناول الأطعمة المالحة والمخللات والانتظام في أخذ الدواء.

نظرت إليها رقية بضيق قائلة: وهل عدم أخذ الدواء سبب مقنع من وجهة نظرك للصداع الذي لا يفارقني؟ أم إنه طبيب فاشل؟

ضحكت غادة قائلة: ما هذا أمي الحبيبة فقدت هدوءها.

عمومًا يا رورو يا حبيبة قلبي، أنا سأشرف على الدواء، سأذكرك به حتى لو كنتِ في المريخ.

ضحكت والدتها وهي تقول: الله لا يحرمني منكِ.

قبلتها غادة قائلة: ولا منكِ يا أمي الغالية.

■■■

بعد قليل

جلست في غرفتها وهي تجهز حقيبة سفر كبيرة، وضعت بها ملابس مختلفة، وفي حقيبة رياضية منفصلة تفحصت ما بها

من كشاف وكاميرا وضعت في أحد جيوبها مطواة، وابتسمت محدثة نفسها قائلة: تحسبًا للطوارئ.

وصور الكهف والجبل وبدأت في كتابة التقرير على اللاب توب تحت عنوان: (الجبل الغامض)

وبعد أن انتهت، حفظت الملف وأغلقت الجهاز، واستلقت على السرير وهي تنظر إلى الحقيبة قائلة: لم يتصل بي أحد من الجريدة إلى الآن؟

لم تكد تنهي جملتها حتى تعالى صوت هاتفها.. التقطته بسرعة وهي تستمع لمحدثها باهتمام قائلة:

مرحبًا معتز.

أحقًّا؛ تمت الموافقة على الأمر.

أجاب معتز: أبلغوني عصر اليوم، لكنني انشغلت؛ لأنني ذهبت لأحجز تذاكر السفر.

قالت غادة بسعادة: ممتاز.. ومتى السفر؟

معتز: مساء الغد في قطار منتصف الليل.

تنهدت غادة براحة قائلة: ممتاز.. إذن سأقابلك هناك.

لا تنسَ أن تحضر أدوات التصوير كلها، أريده تحقيقًا مميزًا

ضحك قائلًا: لا تقلقي يا أستاذة، إلى اللقاء غدًا.

أغلقت الهاتف، وتنهدت بقوة قائلة: مرحى.. مرحى.

■■■

ذهبت إلى غرفة والدتها قائلة: رورو، هل نمتِ؟

سمعت والدتها تقول: لا.. لم أنم بعد.

دخلت الغرفة وجلست بجوار والدتها، وهي تنظر إليها بدقة: أمي.. أبلغوني بميعاد السفر.

نظرت إليها والدتها بضيق قائلة: متى؟

قالت غادة بتردد: بدون ضيق أو أية انفاعالات،

تعلمين أنه كلما أسـرعت وسـافرت كان ذلك أفضل حتى أقدم الموضوع قبل ميعاد تسليم التحقيق الأسبوعي.

قالت والدتها بضيق: بلا مقدمات.. متى؟

نظرت غادة إليها بحذر وهي تضغط على حروفها قائلة: غدًا.

التفتت إليها والدتها هاتفة بسخط: غدًا!!

غدًا يا غادة!!

قالت غادة وهي تقبل أمها: أرجوكِ يا أمي، أنت لا تدرين مدى أهمية هذا السفر بالنسبة إليَّ.

قالت أمها بحزن: إذا كان الأمر له هذه الأهمية فسافري إذن.

احتضنتها غادة شاردة: لا تدرين مدى أهميته يا أمي

ادعِي لي فقط.

قبلتها والدتها قائلة: الله يكتب لك النجاح أينما وطئت قدماك.

قالت غادة وهي تنامب بجوار والدتها: اللهم آمين.

وفـي صبـاح اليـوم التالـي حرصت غـادة على الأشـراف على والدتها وهو أخذ الدواء قبل تناول الإفطار.

وقفت تودع أمها واحتضنتها قائلة: وداعًا.. وادعِي لي.

نظـرت إليها أمها طويـلًا وقالت: حبيبتي.. هـل من الضروري ذهابك؟

ابتسـمت وهي تربت على كتـف أمها قائلة: أمـاه، اعتبريني في عطلة.

قبلتها أمها وهي تمطرها بوابل من الدعوات

وحملت حقيبتها وتوجهت إلى محافظة الفيوم.

وفي الطريق اتصلت بصديقها معتز قائلة: مرحبًا معتز.

لقد حجز صديق لي تذكرة طيران للأقصر.

أجـاب معتز مازحًا: هنيئًـا لك.. وأنا الموظف المقهور أسـافر بالقطار..

حتى الطبقيه في السفر..

ضحكت قائلة: لا.. أقسـم لك، لكنه جار لنا، وأراد أن يقدم لي معروفًا، أرجوك لا تتضايق.

قال ضاحكًا: إنني أمزح يا أستاذة، أراكِ هناك على خير.

قالت غادة: معتز هناك أمر آخر.

تعلـم أن السـفر بالطائرة لن يسـتغرق وقتًا طويلًا؛ لذا سـأغادر القاهرة بعد غد إن شاء الله، حتى أقابلك في الموعد المحدد.

قال معتز متفهمًا: حسنًا يا أستاذة، اتفقنا.

إلى اللقاء أراك في صعيد مصر.

قالت ضاحكة: إلى اللقاء إذن.

أغلقت هاتفها وهي تتنهد بقوة قائلة: هذا أفضل للجميع.

الأول ارتحت من مراقبة المدعو أمير هذا الشخص المستفز، والآن تخلصت من تساؤلات هدى.

أتصرف بحرية دون ملاحقة أو مراقبة.

واتسعت ابتسامتها؛ لأن خطتها تسير كما خططت لها.

تمامًا. وأخذت تستمع إلى إذاعة الـ(إف إم) وسيارتها تلتهم الطريق التهامًا.

■ ■ ■

ومن جهه أخرى سار أمير بجوار الجنرال هتان داخل أروقة الكهف

الذي قال له بفخر واعتداد بالنفس: هل كنت تتوقع أن المستعمرة ستصبح بهذا الحجم في يوم من الأيام؟ أو أننا سنحقق هذا من النجاح؟

رد أمير بهدوء: سيدي، هذا كله نتاج جهودك وإتقانك وتفانيك، فما وصلنا إليه فهو بفضل توجيهاتك.

وتابع قائلًا وهو يلقي نظرة على غرفة منحوتة داخل الصخور بمهارة وإتقان، عابرًا ممرًّا ضيقًا يسمح بمرور فرد واحد فقط، منتهية بساحة مربعة الشكل يفصلها عن الممر جدار زجاجي شفاف كبير، وبداخلها

عدد من الجنود يرتدون ملابس عسكرية، وعليها ملابس الأطباء البيضاء المميزة وهم يضعون الكمامات على وجوههم،

وهم يتفحصون باهتمام ما أمامهم من أعضاء بشرية وخلايا من خلال أحدث الأجهزة الطبية قائلًا: من الجيد وجود جنود بهذه الكفاءات.

قال الجنرال متهكمًا: أرايت أيها الشاب كم نخدم الوطن.

نظر إليه الشاب في صمت. تابع أمير سيره برفقة الجنرال في باقي أروقة الجبل، وقف داخل غرفة حجرية كبيرة مكونة من طابقين يتوسطها سلم يقود إلى الطابق العلوي الذي به نفس الأحواض الزجاجية مختلفة الأشكال والأحجام، وتعد هذه الغرفة من أكبر الغرف الموجودة في المكان، ويطلق عليها العاملون في المكان اسم (معمل التخليق). سار أمير برفقة هتان، وتطلع إلى مئات الشباب النائمين في أحواض زجاجية، ومعلق بها عديد من الأنابيب، وفي الجهة المقابلة وجد مئات من الحيوانات المتفردة في صفاتها، كالوفاء والسرعة والقوة والوحشية متمثلين في

الكلاب والذئاب والأسود والنمور والفهود والخيول والعناكب والعقارب والثعابين مثل: الكوبرا وبعض الأحبار وأسماك مختلفة وأسماك القرش. كان الجنرال يحقن هؤلاء الجنود بالجين المسئول عن صفات تلك الحيوانات المميزة، وكان يهدف إلى تكوين جيش قاسي القلب ماهر، متفرد في صفاته. قضى معظم حياته في تلك المستعمرة من أجل إجراء التجارب ونجحت التجربة بنجاح على بعضٍ، وليس على الأغلبية، وإن استطاع أن ينشئ جيلًا جديدًا من البشريين المعدَّلين وراثيًّا، متميزين جدًّا

ولكـن لكل شـيء جانب سـلبي؛ حيث وجد بعـض الأخطاء التي يجـب تجنبها؛ لأنه عندما عدَّل صفاتهم الوراثية جعلهم أقرب إلى الحيوانـات؛ حيث تثيرهـم رائحة الدماء، وتكاد تفقدهم السـيطرة على أنفسـهم؛ لذا جعلهم قيد التواجد داخل الكهف، ولم يسـمح لأي واحد منهم أن يغادره.

تنهد أمير وهو يسـتمع إلى تعليمـات الجنرال بعد أن جمع كبار قادتـه قائلًا: أريد تشـديد الرقابة على مداخل ومخـارج الجبل. لا تسـمحوا لأي أحد مهما كان بالتسلل إلى هنا الأوامر واضحة؛ إما القتل الفوري، وإما التعذيب على طريقتنا.

نظر إليه قادته بوحشية وهم يرددون بقوة: أوامرك يا أفندم.

وبعـد قليل شـرد أمير وهـو يتذكر مشـهد مقتل حبيبتـه من قِبل هـؤلاء المخلقِيـن وجاهد في إخفاء مشـاعره. أغمـض عينيه بقوة وهو يسـتعيد رباطة جأشه، حتى أنهى جولته مع الجنرال وعاد إلى غرفته واسـتلقى على السرير وهو يشـعر بحزن وشوق وحنين إلى غادة التي قفزت صورتها إلى ذهنه. مد يده أسفل الوسادة مخرجًا صورتها وأخذ يتأملها بحب.

كان متأكدًا من أنها سافرت كما أخبرته في الرسالة الورقية التي تركتها في المعطف..

أخرج الرسـالة وأعاد قراءة حروفها، وتنهد بقوة وهو يحتضنها بشـوق وتنهـد محدثًا نفسـه: رغم أنني سـأفتقدها، ولكـن هذا هو

الصواب، حتى لو كان بعدها يؤلمني، من أجلها ومن أجل سلامتها لا بـد أن أتحمـل. والتقط المعطـف وهو يقربه من أنفـه ويتذكرها قائلًا: أنا من اختار هذا الطريق ولم أكن أعلم أنني سـأدفع ضريبته هكذا.

ومع حلول الليل غفا لأول مرة مطمئن البال.

■■■

وفـي نفس الوقت كانت غـادة تجلس على أحـد المقاهي التي تقع بالقرب من الجبل وهي تحدث نفسها قائلة: لا بد أن أعود إلى هنـاك. هناك شـيء ما يجذبني بقوة إلى هنـاك، وكأنني قطعة فولاذ تنجذب إلى المغناطيس بسهولة!!!

أخذت تتمشى على شـاطئ البحيرة وهي تستنشق الهواء النقي وضعـت يدها في جيوبها وهي تتجـول؛ كان الوقت ملبدًا بالغيوم، والمـوج قليـلًا، والهواء البـارد يلفـح وجهها ويطير شـعرها على عينيهـا. تطلعت غـادة إلى الكورنيش المزدان بالأشـجار والنخيل وهي تردد: ما أجمله من مكان وسـارت على الشاطئ وهي تراقب بعض الموجودين الذين كان عددهم قليلًا، بل كاد يكون خاليًا إلا مـن بعـض الأزواج حديثي الـزواج، أو فتى وفتاة فـي مقتبل العمر يجلسـان وهما يختلسـان لحظات السـعادة بعيدًا عن أعين الأهل والمعارف ومضايقات المارة والمتطفلين.

ابتسـمت وهي تتذكر نفسـها في هذه السـن قائلة: كيف نسـيت نفسي هكذا؟

ثم ضحكت مكملة: هل أنا طبيعية؟ لمَ لمْ أحب إلى الآن؟

أحكمت غلق المعطف، وارتدت قبعة على رأسـها وهي تلملم شـعرها خلف ظهرها، وغادرت الشاطئ بعد أن أشرف الليل على الحلـول.. توجهت إلى سـيارتها وهي تتطلع إلى سـاعة يدها التي تشير عقاربها إلى الساعة السادسة بعد المغرب قالت محدثة نفسها بهمة ونشاط: آن الآوان.. على بركة الله.

وانطلقت بالسيارة متجهة إلى الجبل..

أوقفـت سـيارتها علـى أول الطريـق بعيدًا عـن المـكان بأكمله وتلفتـت حولها مستكشـفة المـكان؛ كي تطمئن أنـه لا أحد يوجد بالقرب من المكان، أخذت

تسـير حاملـة حقيبتهـا علـى ظهرها بنشـاط. واصلت المشـي بخطـى سـريعة. وأسـفل الجبل وقفـت تتلفت حولهـا، وواصلت صعودها في حذر ورشـاقة. وعندما اقتربت من القمة وقفت لحظة والتقطت أنفاسـها و أخذت نفسًا عميقًا، وتابعت التسلق في حذر، حتى وصلت إلى قمة الجبل.

في الكهف تابعت سيرها داخله ببطء وخفة على ضوء الكشاف، وعندما وجدت المداخل الثلاثة بيضاوية الشـكل اختارت الطريق

الثاني وتابعت سيرها بحذر وهدوء. وعندما بلغت تقريبًا منتصف الطريق

فجأة.. شعرت بحركة غريبة حولها.. توقفت وهي مسلطة الضوء على مصدر الصوت وجدت عددًا من الجنود الضخام الجثث المدججين بالسلاح يحيطون بها من كل جانب!!!

تسمرت مكانها وهي تقول لهم بتعجب: ما هذا؟

زمجر الجنود بوحشية وغضب وهم يصوبون إليها أسلحتهم، حاولت الفرار منهم أمسكها أقربهم إليها ببساطة.. أخذت تضربه بقدمها في محاولة يائسة للتحرر من قبضته لكنه استطاع تقييد حركتها، قال أحد الجنود بلهجة آمرة، وهو يسير متخللًا الممر الصخري الدودي الشكل: أحضروها.

سارت أمامهم وهي تهتف غاضبة: تبًّا.

ظل الجنود موجهين إليها الأسلحة وهي تسير أمامهم من خلال الممر الصخري الذي أصبح أكثر نظافة وإضاءته أصبحت أوضح والتهوية فيه مناسبة، تعجبت كيف ومتى أنشئ هذا المكان؛ وتساءلت: تُرى، من شيَّد هذا المكان وحفره ونحته بهذه المهارة والشكل في باطن الجبل؟!

وفي محاولة أخيرة للهرب، وعند مفترق الطرق تطلعت خلفهم قائلة: النجده يا هاني.

التفت الجنود تلقائيًّا خلفهم، فأسرعت بالفرار منهم في الاتجاه المعاكس.

ولكن أحدهم عاجلها بضربة بكعب مسدسه على مؤخرة رأسها فسقطت فاقدة الوعي.

حملها أحد الجنود ووضعها على الأرض في إحدى الغرف الحجرية الضخمة، كما هي العادة عند القبض على أي متسلل أو دخيل!!!

وغادر الجميع المكان تاركين جنديين فقط لحماية الغرفة الموجودة بها غادة.

■■■

ظلت غادة فاقدة الوعي وعندما استعادت وعيها شعرت بألم في رأسها وضعت يدها على رأسها وجدتها تنزف، جلست على الأرض وهي تمسك برأسها وأخذت تطلق آهة ألم، وعندما بدأت تستوعب الأمر، وجدت أحد الجنود ينقض عليها بوحشية يريد أن يفتك بها، تراجعت إلى الخلف بسرعة متفادية انقضاضته، نظر إليها بوحشية وغضب وهجم عليها مرة أخرى وهو يطوق جسدها بذراعيه القويتين وأخذ يعتصر جسدها بقوة.

صرخت متألمة وهي تتنفس بصعوبة هاتفة: دعني.. توقف أرجوك..

لـم يبـدِ الجندي أي رد فعـل، بل زاد من ضغطه على جسـدها، كتمت أنفاسها وارتكزت بظهرها عليه ودفعت قدمها للخلف بكل مـا أوتيت من قوة مـا بين قدميه فأفلتها من بين يديه. سـقطت على الأرض وهـي تختبـئ في آخر الغرفـة الحجرية الفارغـة، في حين زمجـر الجندي بوحشـية وغضب ولعابه يسـيل من فمـه، وانقض عليها بسـرعة جاذبًا إياها بقسـوة من فوق الأرض كأنه يحمل دمية رافعًـا إياهـا لأعلى، وألقـى بها علـى الأرض بقوة. سـقطت على الأرض وهي تتألم بشـدة ونظرت حولها عسى أن تجد شيئًا تدافع به عن نفسـها فلم تجـد. كانت الغرفة خاوية تمامًـا.. زحفت ببطء مبتعدة عنه وهو يراقبها بلذة، وكان كل جزء في جسدها يصرخ من فرط الألـم.

انقض عليها بقوة مرة أخرى وطرحها أرضًا وقيد ذراعيها خلف ظهرها بقوة وهي تقاوم قائلة: ابتعد.. النجدة النجدة.

واقترب من عنقها وهنا أدركت أنها هالكة لا محالة..

أغمضت عينيها وهي تقول: ساعدني.. يا إلهي ساعدني!!

فجـأة.. وجـدت شـخصًا ملثمًا يضـرب الجندي علـى مؤخرة رأسه بكعب مسدسه بقوة فسقط فاقدًا الوعي فوقها.

أزاحتـه بعيـدًا عنهـا، وأخـذت تلهـث فـي سـرعة وهـي تقول لمنقذها الملثم: أشكرك.

مد يده لها يساعدها على الوقوف دون أن ينبس ببنت شفة، وحمل الجندي الفاقد الوعي، وأخذه وخرج بسرعة بعد أن أزاح أحد الجدران الحجرية ببساطة دون أن يلتفت إليها.

جلست على الأرض تلتقط أنفاسها وهي تشعر بالألم في كل جسدها هاتفة: ما هذا المكان اللعين؟!

تقوقعت في أحد الأركان وهي تنظر إلى سقف الغرفة متسائلة: تُرى، ماذا سيكون مصيرها مع هؤلاء المتوحشين؟ وبعد ما يقارب الساعة على ما حدث، سمعت صوت أقدام تقترب منها، ودخل أحد الجنود ونظر إليها في وحشية قائلًا، وهو يجبرها على السير دافعًا إياها في قسوة أمامه: هيا.

قالت له: ماذا تفعلون؟ أنا صحفية.. وإذا حدث لي مكروه فسينكشف أمركم، هناك من ينتظر عودتي.

دفعها بقسوة وهو يقول بخشونة وغير مكترث لما تقول: صمتًا.

سارت أمامه صامتة مارة على عدة غرف لها أبواب معدنية وفولاذية.

ودخلت غرفة أخرى كبيرة، سقفها وجدرانها صخرية بلون الجير، وبها ساحة دائرية كبيرة، بها منحوتات صخرية تكاد تكون مجسمات بشرية وعليها علامات باللون البرتقالي الفسفوري، في مواضع القلب والرأس والقدم فهمت أن هذا المكان هو ميدان للرماية، وجدت عددًا من الجنود يقفون شاهرين أسلحتهم. قادها

الجنـدي إلـى الأمـام، أوقفها بالقـرب من هذه المجسـمات وقال لهم: الآن.

نظرت إليهم بذعر قائلة: أيها الأوغاد.

قال الجندى متابعًا وكأنه لم يسـمع السـباب الـذي تطلقة: عند الرقم ثلاثة أطلقوا النار..

كانـت غادة تتابع ما يحدث وهي غير مسـتوعبة الأمر بعد، كان يخيل إليها أنها في كابوس وستفيق منه.

انتزعهـا من خوفهـا صوت الواقـع صوت الجنـدي وهو يقول لرفاقة:

1... أغمضت عينها وهي تنطق الشهادتين 2...

وقف الجنود على أهبة الاسـتعداد، وهم يصوبون بنادقهم إليها وعشرات العلامات الحمراء تصوب على القلب، وأصابعهم على الزناد وأشرف على إكمال تهجئة رقم ثلاثة.

عندها.. سمعوا صوتًا قويًّا يقول في حسم: توقفوا... !

أزاح الجميع أيديهم من على زناد أسلحتهم والتفتوا إلى مصدر الصوت بدهشـة شـديدة، في حين قـال أحدهم وهـو أكبرهم رتبة باحترام: سيدي..

وأفسح له المجال..

فـي حين تعلقـت عيناها بهم بدهشـة وهي تردد بهـدوء: حمدًا لله..

وجدت شخصًا يخترق الصفوف، ويقف أمامهم قائلًا: مهلًا.. نريد منها بعض المعلومات.

اتسعت عيناها عن آخرهما وهي ترى صاحب الصوت..

كان هـو نفس الشـاب الذي قابلته أسـفل الجبـل، وكان يرتدي المعطف الذي كان يغطيها بها، إنه أمير.

نظر إليها لحظة ثم قال آمرًا أحد الجنود: فك وثقاها.

تسـمرت من المفاجأة وعقدت الدهشـة لسـانها. فك الجندي قيودها قائلًا: كما تأمرني سيدي.

قال أمير بلهجة آمرة: أتركونا بمفردنا.

غـادر الجنود المكان بطاعة. نظر إليها طويلًا قبل أن يقول وهو يقترب

منها: هل أنتِ بخير؟

قالـت لـه وهي تجلس على مقعد حجري كبيـر في تهالك: كما ترى.

قال بجدية وهو يناولها زجاجة مياه: لماذا كذبتِ عليَّ؟

- كيف؟

- أخبرتِني أنك سافرتِ.

- لقد أُلغيت المهمة في آخر لحظة.

ردد بتوتر: أُلغيت؟

نظر إليها طويلًا واقترب منها وهو يخرج منديله.. يمسح الدماء التـي تلوث وجهها.. وعندمـا اقترب منها واستنشـق رائحة دمائها سرت قُشَعْرِيرَةٌ في جسده وارتعدت أصابعه.

وهو ينظر إلى عينها محدثًا نفســه قائلًا: مستحيل!! مستحيل!! هل أنا في حلم؟

لاحظت أنه شارد قالت له وهي تبعد وجهها عنه: أشكرك.

قال لها لائمًا نفسه:

أنا آسف لأنني تأخرت كثيرًا.

نظرت إليه مندهشـة وهي تقول له: سيدي، ما هذا الذي تقوله؟ لولا وجودك وظهورك لكنت في عداد الموتى الآن.

نظر إليها وأخرج من جيبه أمبولًا به سائل أرجواني اللون قائلًا: اسمحي لي. واقترب من جرح رأسها الذي كان لا يزال ينزف وقام بإفراغ الأمبول وتوزيعه على الجرح قائلًا: ستشعرين بحرقة بعض الشيء ولكنه الأفضل، ليس أمامنا خيار آخر.

كان يعلـم أن رائحـة الدمـاء سـتجتذب الجنـود غير المسـيطر عليهـم؛ لـذا ابتكرو دهانًـا يقضي علـى رائحة الدمـاء، وهو يعمل كمضاد حيوي واسـع المـدى. تابع قائلًا: ستشـعرين بدوار قليلًا، لا تقلقـي، فهذا طبيعـي. كانت تنظر إليه باندهـاش، وعينها متعلقة بعينه الحزينه وكانت تلاحظ أصابعه المرتعدة وأنفاسه المتلاحقة. كان يقاوم رغباته..قربه منها ورائحتها يثيران شـجونه ويعيدان إليه

ذكرياته الأليمة، وبمجرد أن انتهى من تضميد جرحها ابتعد عنها وهو يقف بعيدًا يلتقط نفسه زافرًا بقوة.

التفتت إليه قائلة بامتنان: أشكرك.. لست أدري كيف أشكرك.. أنا مدينة لك بحياتي.

نظر إليها طويلًا لحظة ثم قال: اهتمي بنفسك وكوني حذرة.

وتركها وغادر الغرفة بخطى سريعة.

وسمعته يقول بلهجة آمرة: احرسوها جيدًا، لا أريد أن يدخل عندها أي أحد، كثفوا من عدد الجنود حتى أعود.

جلست وهي تتذكر كيف كان يحاول منعها من الصعود بشتى الطرق الممكنة؛ وهي لا تفهم لماذا كان يصر على ذلك.

كان يحاول تحذيرها وحمايتها بشتى الطرق، وتذكرته وهو يضمد جرحها وأصابعه المرتعدة قائلة: تُرى، ما قصة هذا الشاب؟

لماذا يحاول مساعدتي؟ لماذا يحميني؟

■ ■ ■

خرج أمير من الغرفة بثبات مؤديًا التحية العسكرية للجنود الذين بادلوه التحية بنفس الثبات متجهًا إلى مكتب الجنرال. بعد لحظات كان يقف أمير في مكتب الجنرال قائلًا: سيدي، لدينا متسلل.

قال الجنرال ببساطة دون أن يلتفت إليه حيث كان يتصفح بعض الأوراق التي أمامه: وما الجديد؟ أنت تعلم ما عليك فعله!

قال الشاب بعد لحظة تفكير: سيدي، أرى أن نستثمر وجوده.

التفت الجنرال إليه متسائلًا بحذر: كيف؟!

رد أمير بتردد: أن نجعله يروج لما يعتقده الناس عن المكان، وبهذه الطريقة يمكننا إحكام سيطرتنا على المكان وتوسيع نطاق عملنا؛ لأن أكثر ما يفزع البشر الأساطير والأحاديث عن الجان والشياطين.

ظل الجنرال صامتًا لحظة.. بدا على ملامحه أنه يُفكر بعمق، في حين تعلقت عين الشاب به في قلق.

قال الجنرال مفكرًا وهو يحك ذقنه بأصابعه: وكيف ستضمن أنه لن يتحدث عما رآه؟

قال أمير: أمر بسيط سيدي، نحقنه بمصل يشتت أفكاره، ويذهب عقله، قبل أن يغادر المكان.

قال الجنرال مبتسمًا وقد راقت له الفكرة: أنت داهية يا أمير! نفذ.

خرج أمير من الغرفة بخطى ثابتة وبمجرد أن ابتعد عن الغرفة تنهد في عمق وهو

يردد في داخله: حمدًا لله حمدًا لله.

ذهب لغرفته بعد أن أمرهم بإحضارها إلى هناك.

فوجئت غادة بأحد الجنود يدخل عليها الغرفة وهو يقتادها بخشونة للخارج.

قالت وهي تسير أمامه متهكمة: ألا تتحدثون إلا بلغة السلاح؟ يمكنك أن تقول لي هيا سنغادر، ستجدني أستمع لما تقول وأنفذه بطاعة.

قال الجندي بخشونة: صمتًا.

سارت بينهم باستسلام تام؛ أمامها اثنان وخلفها اثنان.

كان فضولها يقتلها، كانت عيناها تسجلان كل ما تريانه في أثناء سيرها. سارت في ممر دودي ضيق منحوت في قلب الجبل بحرفية ومهارة وفي سقفه لمبات برتقالية اللون، وعلى جانبيه على طول الممر مشاعل متفرقة تضيء المكان بإضاءة صفراء خافتة. ومرت على عدة غرف بعضها زجاجي البوابة، وبعضها له بوابات خشبية تشبه أبواب الشقق في العقارات، وأخرى لها بوابات فولاذية كانت تتساءل: تُرى، ماذا يوجد خلف كل باب؟

لم تستمر تساؤلاتها كثيرًا؛ إذ توقف الجنود أمام إحدى الغرف، ذات بوابة خشبية سوداء مزخرفة بزخارف عربية. بعد قليل دخلت الغرفة برفقة الجنود.. وجدت أمير يجلس خلف مكتب رخامي دائري وهو يطالع بعض الأوراق بلامبالاة. قال دون أن يلتفت إليهم: دعوها، يمكنكم الانصراف.

أدى له الجنود التحية باحترام وهم ينصرفون، وبمجرد أن خرجوا قام من مكانه بسرعة ليتاكد أن الباب مغلق، ودعاها للجلوس قائلًا: تفضلي.

جلست أمامه صامتة.

اقترب منها وهو ينظر إليها في شوق ثم تماسك قائلًا: لماذا عدتِ إلى هنا؟

قالت له: لست أدري.. شيء ما يجذبني بقوة إلى هنا.

جلس بجوارها وأطرق برأسه في حزن قائلًا: لقد أخبرتك أن التواجد هنا يشكل خطرًا عليك.

قالت له:لماذا؟ ما هذا المكان؟ وما السر الذي تخفونه هنا؟

لا تقل إنكم تابعون لأية جهة حكومية، واضح جدًّا أنكم مرتزقة.

قال لها: هذا أمر شرحه يطول، ولكن الأهم الآن أن تغادري المكان.

هتفت بعصبية: اسمع يا هذا، أنا صحفية، ومهنتي هي معرفة الحقيقة، وتأكد أني لن أغادر هذا المكان إلا وأنا مقتنعة، حتى لو كلفني ذلك حياتي.

حدث نفسه قائلًا: يا إلهي!! نفس العِناد ونفس الطباع!! هذا كثير يفوق احتمالي!!

وجدته شردَ لحظةً، وبدت على وجهه إمارات الحزن اقتربت منه قائلة: أمير، أرجوكَ ساعدني، افعل ما يمليه عليك ضميرك.

أطرق برأسه في حزن لائمًا نفسه على كل ما حدث قائلًا: آهٍ لو تعلمين كم يؤنبني ضميري.

ربَّتت على كتفه وهي تقترب منه قائلة: أعلم أنك جيد ومختلف عن هؤلاء الوحوش.

نظر إليها دون تعليق.

قالت له فجأة: أمير هل سبق أن تقابلنا؟

خفق قلبه بقوة وتسارعت ضربات قلبه وهو يقول بارتباك: لا أعتقد ذلك.

تأملته لحظة كأنها تحفظ ملامحه، كان أسمر اللون، طويلًا مفتول العضلات، وشعره مجعدٌ، بني غامق، وعيناه بنيتا اللون، أقرب للأخضر القرمزي، واسعتان، ورموشه كثيفة وأنفه مدبب. شعرت بميل غريب تجاهه وهي تراقب تصرفاته المرتبكة ونظراته الحزينة قائلة: لست أدري.. أشعر بحنين إلى ذلك المكان، كأنني كنت هنا من قبل!!

كأنه جزء مني، أمر يصعب تصديقه، أليس كذلك؟

تعلقت عيناه بها وحدث نفسه قائلًا: هذا وضع طبيعي.

ثم استدرك قائلًا:

فعلًا.. أمر غريب. المهم.. لقد سمح لك الجنرال بإجراء تحقيقك الصحفي

قالت هاتفه بسعادة: حقًّا!!

هذه أخبار جيدة رغم أن البدايات كانت غير مطمئنة، هؤلاء الجنود غير ودودين بالمرة.

نظر إليها دون تعليق، ثم قال بعد لحظة صمت : أعتذر عن سوء المعاملـة. كان يعلم أنـه المخطئ؛ لأنه هو من ساعد وعمل على توحشـهم بتلك الصورة.. انتبه إليها قائلًا: والآن.. من أين تريدين أن أبدأ؟

- ما هذا المكان؟
- يمكنك اعتباره مقرًّا للأبحاث العلمية.
- آه.
- ولماذا كنت لا ترغب في قدومي إلى هنا؟

نظـر إليها دون تعليق ثم قال لها: مـا رأيك في أن تقومي بجولة داخله؟

- هل يمكن أن أحضر كاميرا؟
- لا، غير مسموح.
- كما تريد، فأنا لست أدري أين حقيبتي أصلًا، هيا بنا.

اصطحبهـا إلـى الخـارج والجنـود يراقبونهما عن كثـب. أخذ يشـرح لها في اقتضاب بعض الأشـياء في أثنـاء مرورهم في أروقة المكان وهي تتسـاءل بتعجب: كيـف يمكن أن يوجد مكان متطور كهذا في قلب الصحراء؟ وهل الحكومة على علم بوجوده؟

وإذا كانت الإجابة (لا) فكيف تم تشييده دون علم المسئولين؟

قالت له مبتسمة: الآن فهمت بعض الأمور!

- ماذا؟
- تتعمدون إثارة الذعر ونشر شائعات مخيفة لترهيب كل من يحاول أن يقترب، فتعملون بحرية مطلقة دون إزعاج.

رد مبتسمًا: تحليل جيد.

اصطحبها معه إلى إحدى الغرف الحجرية.. ألقت نظرة سريعة على الغرفة.. كانت مستطيلة الشكل، بها مقاعد ومناضد مثبتة بالأرض رخامية، وفي أحد الأركان موقد كبير وثلاجة ضخمة. كان المكان أشبه بمطعم كبير. دعاها إلى الجلوس وجلس أمامها وهو يقدم لها الطعام مبتسمًا:أعتذر.. لم تتسنَّ لي الفرصة للترحيب بك.

قالت مبتسمة وهي تتناول الطعام: أشكرك.

نظرت إلى الطبق الذي قدمه وهي تقول: خضار طازج.

كان في الطبق قطع من خيار وطماطم وفلفل ملون وملعقتا أرز وقطعة دجاج مشوية.

قال أمير وهو يأكل:أتمنى أن يروقك طعامنا!!

شرعت تأكل بنهم وهي تقول مازحة: هل الطعام شهي بالفعل أم إنني جائعة؟

نظر إليها أمير مبتسمًا، كان يشعر بالسعادة؛ لأنها تجلس معه، ويتحدثان عن قرب إلى هذا الحد، كان يستمد قوته من وجودها

بجـواره ،كان يحلـم بتكرار هذه المشـاهد، فقد قضى نصف عمره فـي بناء هـذه القاعـدة، وقضى نصفـه الآخر في البحـث عن روح حبيبتـه. مضـى السـنوات الأخيرة وهـو يقتله الندم منعـزلًا بعد أن فقد حبيبته. وكان بغادة روح حبيبته، كل لفتة معها تذكره بها، تعيد شحن طاقته الوجودية.

بعـد أن فرغـوا مـن تنـاول الطعـام اصطحبهـا إلى غرفتـه قائلًا بحذر: انتهت جولتنا، سأصطحبك إلى غرفتي؛ لأنها أكثر الأماكن أمانًا هنا، حتى أرى كيف سأخرجكِ من هنا.

قالت باستسلام وطاعة تامة: حسنًا.

في غرفته بعد لحظات.

وقفـت لحظة وهي تجـول ببصرها في الغرفـة، وتوجهت نحو السرير الموجود قائلة:

- هل هذه غرفتك؟
- نعـم، كل جنـدي له غرفة بهـا مكتب وسـرير. أتعلمين؟ نحن في عمل دائم.

نظـرت إليه وهي تمـد يدها تتصفح أحد الكتـب الموجودة في المكتبـة التـي تعلـو السـرير، كان يتابـع تحركهـا في الغرفـة وقلبه يحترق.

كانت تسـيطر عليه مشـاعر جياشـة تجاههـا، ولـم يجد تفسـيرًا لذلك.

كانـت تتصرف كأنها في بيتها، لم تشـعر منـه بخجل أو خوف، وهـو أمر زاد من دهشـتها؛ لأنهـا لم تعتد أن تقوم بهـذه الأمور من قبل، ليس هذا من طباعها.

مـدت يدهـا لتتصفح كتابًـا آخر، كان رواية مـن روايات الأدب العالمي؛ الحرب والسلام،

قالـت وهـي تحتضنـه بكلتـا يديها: هـل تعلم أنني أعشـق هذه الرواية؟

ابتسـم وهـو يجلـس بجوارها علـى حافة السـرير: وأنـا أيضًا. أخـذت تتصفحـه وهـي تتحاشـى النظـر إلـى عينيـه، كان وجوده بجوارها هكذا يوترها، يجعلها فرحة سـعيدة، تشعر بأنها جزء منه، وكأنها ليست غريبة عنه، بل قريبة، وقريبة جدًّا منه.

وفـي أثنـاء تصفحـه وجـدت بداخلـه صورتهـا برفقـة هـدى، أمسكتها ونظرت إليه بدهشة.

تجمد في مكانه.. تعلقت عيناها به.. قال في ارتباك: أ..آسف.. سقطت منك، ولم تُتح لي الظروف كي أعيدها. أكرر أسفي.

أغلقـت الكتاب، وجلسـت أمامه وهي تنظر فـي الغرفة حولها بضيق وحيرة.

ردد بحزن: آسف.. لم أقصد أن أضايقك.

نظرت له بحيرة قائلة: لماذا؟

التفت إليها متسائلًا: ماذا تقصدين؟

- لماذا أشعر أنى أعرفك من قبل؟ رائحتك! رائحة هذا المكان تبدو مألوفة لي! لماذا؟

همَّ بالرد لكن قطع حديثهما صوت طرق على الباب، أعقبه دخول أحد الجنود قائلًا: سيدي الجنرال يريد أن يقابلك الآن.

نظر إلى الجندي وقال له: حسنًا.. سألحق بك.

قال الجندي: سيدي الجنرال يريد أن تحضرها معك.

خفق قلبه بشدة وشعر بالقلق.

قال له وهو يسير معها: حسنًا.. سألحق بك.

كانت خطة أمير ببساطة، أن يجعلها تقوم بجولتها لإرضاء غرورها ثم اصطحابها إلى خارج القاعدة دون علم هتان، وأن يجعل هتان يعتقد أنه حقنها بالمصل المتفق عليه، لكن خطته على وشك الفشل الذريع؛ لأن هتان طلب أن يراها، وهو ما لم يكن في الحسبان. كان عقله يعمل بسرعة وهو يضع خطة بديلة لإخراجها من المكان بأسرع وقت.. دار كل هذا في عقله في جزء من الثانية وهو يسير برفقتها متجهًا إلى مكتب هتان.

بعد قليل.. وفي غرفة المكتب، دخل أمير وغادة.

كان يجلس خلف المكتب شخص في أواخر الخمسينيات، أشقر البشرة، له ذقن كثيفة، يضع نظارة طبية، عدساتها رقيقة، وأصلع الرأس، متوسط الحجم، وكان منهمكًا في عمله على الكمبيوتر دون أن يلتفت إليهما؛ وكأنه لا يشعر بوجودهما.

قال أمير بثبات: سيدي.

التفت إليهما بحذر، وضاقت عيناه وهو ينظر إلى غادة، وسرعان ما اتسعت عيناه في دهشة وهو يقول له: لم تخبرني أن ضيفنا فتاة!

وقـام من مكانه واقترب منها يتأملها قليلًا، وتبادل نظرة مع أمير أقلقته، ثم قال: مرحبًا. ردت غادة وهي تتأمله بريبة: مرحبًا.

قـال أمير بارتباك وكأنه يصرف نظر عن غادة: سـيدي، منذ متى ونحن نتعامل مع الزوار حسب النوع؟

قال الجنرال: معك حق.

وانتقـل إلـى غـادة وتعلقت عينـاه بها، وقـال متعجبًـا: هل هذا معقول؟!

قالـت له غادة ببسـاطة وهـي تحـاول تهدئة الأجواء: سـيدي، مكتبتك تبدو دسمة.

ضحـك وهو يقـول بغـرور واعتداد بالنفـس: نحـن العلماء لا نتوقف عن التهام العلم.

قالت له مبتسمة: أعانك الله سيدي.

نظـر إليها الجنرال لحظة بدقة قبل أن يضغط على حروفه قائلًا: إنه يعينني بالفعل.

نظرت إليه غادة بدهشة ألجمت لسانها.

قال هتان صائحًا: وليد.

خذ الآنسة لمكتب أمير.

نظر أمير إليها وإلى الجندي، وبدأ القلق يتسلل إلى قلبه.

قال أمير: سيدي، هل تأمرني بشيء آخر؟

ابتسم هتان قائلًا بلهجة آمرة: انتظر أنت.

وأشار بيده إلى الجندي أن يخرج.

تعلقت عيناها بأمير الذي طمأنها بابتسامة خفيفة.

■■■

غادرت المكتب برفقة وليد باستسلام تام متجهة إلى غرفة أمير.

في حين ظل أمير مع الجنرال الذي قال له بحِدة: ما هذا الهراء أيها الجندي؟

قال أمير: سيدي أنا أيضًا تعجبت من الشبه الكبير بينهما.

قال له الجنرال وهو يقترب منه في غضب محذرًا: إياك والعبث معي أيها الجندي.

خفق قلب أمير في شده وهو يقول: صدقني يا سيدي، الصدفة وحدها هي التي قادتها إلى هنا!!

قال الجنرال بسخرية: لم أشك يومًا في إخلاصك، هيا اذهب، أود أن أخلو بنفسي.

■■■

غادر أمير الغرفه غاضبًا، ونادى الجنرال على أحد الجنود قائلًا بعصبية: راقبوهما جيدًا.

في حين سار أمير بخطى واسعة، واتجه إلى غرفته، وبمجرد أن دخلها وجدها جالسة تقرأ أحد الكتب.

وما إن رأت وجهه قالت له بخوف: ما الأمر؟ تبدو منزعجًا!! هل حدث شيء ما؟

اقترب منها ومسكها من ذراعيها قائلًا بجدية: اسمعيني جيدًا، لا بد أن تغادري المكان الآن.

حدقت في وجهة قائلة: لماذا؟ ما الأمر؟!

قال لها: أرجوكِ.. أتوسل إليكِ، غادري المكان، نفذي ما أقوله، ولا تعودي إلى هنا أبدًا.

قالت له عندما شعرت من كلامه بأن خطرًا ما محدق: حسنًا.. هدئ من روعك.

قال لها: ممتاز.. سأخرج برفقتك، وكأننا نتجول، وسأخرجك، لا تبتعدي عني أبدًا.

بدا القلق يتسرب إليها قالت له موافقة: حسنًا.

خرج بصحبتها وأخذ يسير معها وكأنه يطلعها على بعض الأمور، وتظاهرت هي بتدوين ما يقول في ورقة، حتى اختفى عن أعين الجنود المنتشرين على طول الممر.

انحـرف إلى طريق جانبي، ثم جذبها مـن يدها، وأخذ يركضان بسـرعة وهو يحثها على الإسـراع وعدم التوقـف. وفجأة.. تعالت أصوات دقات طبول تصم الآذان.

قـال وهو يركـض معها: لا تخافي.. سـأخرجك، اقتربنا كثيرًا. جـرت معـه دون أن تلفتت للخلف. وفجأة.. قطـع الطريق عليهما عدة جنود شاهرين أسلحتهم في وجههما.

صوب إليهم أمير مسدسـه وأطلق طلقات مميتة بالرأس بسرعة ومهارة فائقة كان يقتلهم بدم بارد ولـم يهتز له رمش.

كانت تقف مندهشـة وهي تراه يقتل بـلا رحمة وخيل إليها أنها ترى وحشًا قاسي القلب.

شعرت بغصة في قلبها وهي تراه يقتل هكذا ببساطة وينهي حياة رفاقه بضغطة على الزناد.

نظرت إليه بذعر متسائلة: من أنت؟

اقترب منها وهو يجيب بتردد: أنا.. أنا.. جندي.

ابتعدت عنه وهي تقول: أنت تعرفني، أليس كذلك؟

نظـر حوله مراقبًا الممر خوفًا من ظهور جنود آخرين وهو يقول برجاء: أرجوكِ، لا وقت لدينا.

تراجعـت للخلف ملتصقة بالحائط قائلة: لماذا تسـاعدني؟ لن أتحركـ من مكاني قبل أن تجيبني؟

نظر إليها وقال بعد تردد: أرجوكِ، كل ما أريده منك أن تتأكدي من أنني لن ألحق بك أي أذى.

تراجعت للخلف وهي تقول له: وما الذي يجعلني أثق بك؟

همَّ بالرد، لكنه سـمع صوتًا هادرًا يقـول: حقًّا يا أمير.. لماذا لا تخبرها من أنت؟

وبـرز من خلف أحد الجدران المتحركة للممر الجنرال وخلفه عـدد من الجنود شـاهرين أسـلحتهم إليـه. نظرت إليهـم في فزع، وتوتر أمير وهو يراه يقترب منها وينظر إليها بوحشـية قائلًا: أتدري يا أمير...؟

يسـعدني أن نعيد تجاربنـا مرة أخرى؛ ونقل نظـرة بينهما كانت هي لا تفهم شـيئًا وأميـر نظراته ملتاعة. تابع الجنـرال وهو يضغط على حروف كلماته: هذه المرة أنا متأكد من أننا سـننجح. نظر إليه أمير قائلًا في خوف: لا.. أرجوك سيدي.. لا.

فـى حيـن تعلقـت عيناها بأميـر الذي قيـده الجنـود وكان يبدو منزعجًا للغاية.

قال الجنرال: كنت متأكدًا أنك مفتون بها.

أقدر مشاعرك جيدًا، ولذا قررت أنها ستنضم إلينا.

وأشـار لرجاله إشارة فهموا معناها وقاموا باقتيادة بالقوة، وكبل يديها أحد الجنود وهو يجبرها على السير. قالت لهم في فزع: ماذا تريدون مني؟ ماذا يحدث؟

قال أمير بترجي: سيدي.. سيدى.. أرجوك.. لا تؤذها.

قال الجنرال بوحشـية: ألست من اقترح أن نجرب المصل على كل مخترق.

يسـعدني أن نجربـه عليهـا باعتبارهـا أول متسـلل مـن الإناث وتمتلك جرأة؛ فمن يأتي إلى هنا فإنه متميز.

في أقـرب الغرف إليهم دخل الجميع الغرفة المنحوتة في قلب الجبل التي بها هيكل لسـرير ومكتب رخامي؛ كانت فارغة بلا أي أثاث.

قال الجنرال آمرًا جنوده: قيدوه.. فقامو بتقييده في أحد الأعمدة الضخمة.

نظر إليها أمير قائلًا: لا تخافي.. لا تخافي.

ضحك الجنرال وهو يقول: أصبحت رومانسـيًّا أيها الجندي.. لست أدري، كيف تمتلك تلك المشاعر رغم تكوينك الجيني؟

قيدوها في أحد الأركان في نفس الغرفة.

قالـت غـادة بشـجاعة: اسـمع يـا هـذا، لا تعتقد أنـك تخيفيني بجيشك هذا.

اقترب منها وهو يجذبها بقسوة من شعرها قائلًا: ممتاز.

نظرت إليه في غضب قائلة: ابتعد أيها الوقح.

قال لها: هل أخبرك من هو؟

قالت له في غضب: لا يهمني من يكون أو من تكون؟؟

ولكني متأكدة أنني أقف أمام أكبر معتوه في العالم.

صفعها بقسوة قائلًا: لم تريْ شيئًا بعد!!!

كان يحاول أمير التحرر من قيوده الفولاذية هاتفًا بغضب: ابتعد عنها أيها الوقح..

لا تلمسها.. سأدمرك، أقسم لك.

التفت إليه الجنرال قائلًا: تدهشني أيها الفتى!! كيف لمخلَّق مثلك أن يمتلك تلك المشاعر؟!

التفتت غادة إلي أمير في دهشة مرددة بحزن: مستحيل.. مخلَّق.

صفق الرجل بيديه وهو يضحك بهستيرية قائلًا: يمتعني ما أرى!!

قالت له في غضب: استمع إليَّ أيها الوغد، كنت أعتقد أنك معتوه، ولكن اتضح أن الكلمة قليلة على وصف حالتك.

اقترب منها وانهال عليها صفعًا بقسوة حتى فقدت الوعي، وكان أمير يحاول التحرر من قيوده وهو يقول: لا.. أرجوك.. ابتعد عنها، ستدفع الثمن غاليًا. وتعلقت عيناه بها وهي فاقدة الوعي ووجهها ملوث بالدماء.

اقترب منه الجنرال قائلًا وهو يقرب من وجهه يده الملوثة بدمائها قائلًا: هل ترى تلك الدماء؟ أعلم فيما تفكر، ولكن لا تقلق.. لن تكون النهاية بهذه السرعة.. لا بد من أن نمرح أولًا.

ولـم يكـد يفرغ الجنـرال من كلامه حتى سـمع صـوت ضجة. كانت رائحة الدماء بدأت تجذب الجنود غير المسيطر عليهم.

قـال له الجنرال بتهكم: لا تخـف.. لا يزال أمامنا وقت، أريدها نهاية متميزة تليق بك كعالِم ومساعد لي.

قال أمير مترجيًا إياه: سيدي.. أرجوك... لا تؤذها.

قـال الجنـرال وهو يصفعه بقـوة: هل كنت تعتقـد أنني لا أعلم فيما تفكر وكيف تخطط؟

وكيف ذهبت لتحذيرها أكثر من مرة؟

حدق أمير في وجهه مندهشًا.

قال الجنرال: أنا من شـيدت تلك المسـتعمرة، وأعلم كل كبيرة وصغيرة فيها.

قال أمير: سيدي، أرجوك دعها تذهب.

مال عليه الجنرال قائلًا: لماذا؟

نظـر إليه دون رد. وصفق بيديه دخـل أحد الجنود وبيده محقن كبير به سائل أصفر اللون، وحقنها الجندي به بلا رحمة.

خفق قلب أمير بقوة وهو يصرخ: لا.. لا.. أرجوك.

زمجر أمير في غضب قائلًا: لا تؤذها.. توقف.

كان يحاول التحرر من قيوده، ولكن دون جدوى.

تعلقت عيناه بها عندما وجدها تنتفض من فرط الألم وهي ترتعد بشدة. اعتصر الألم قلب أمير وصرخ وهو يقول: أقسم إني سأحطمك.. سأقتلك.

في حين ضحك الجنرال وهو يقول لها عندما وجدها استعادت وعيها وهي تنظر إليهم في وحشية: مرحبًا بك بيننا.

ثم قال بلهجة آمرة لجنوده: حلوا وثقاها.

فحل أحد الجنود وثقاها. وقف هتان ينظر إليها وإلى نظراتها المتوحشة الباردة واللعاب يسيل من فمها بشهوانية وهي تتطلع إليهم بتوجس وحذر وتزمجر وتزوم. اتسعت ابتسامة هتان آمرًا رجاله بالانسحاب وغادر المكان قائلًا: دعوها.. ستقضي عليه، وخرج وتركهم بمفردهما وسار خلفه الجنود بطاعة عمياء.

قال الجنرال آمرًا الجنود الثائرة التي استفزتهم رائحة الدماء وتجمعوا أمام باب الغرفة: فليذهب كل منكم إلى مكانه.

زمجر الجنود بوحشية وانصرفوا بعد أن تبادلوا معه نظرات التحدي وساروا أمامه بطاعة عمياء وكأنه ساحر وله تأثير كبير على مريديه. لا.. كأنه أعتى من مصصمي الربوتات ويتحكم بهم بالريموت كنترول!!

■■■

في الغرفة.

قال أمير وهو ينظر إليها: غادة أفيقي بالله عليكِ. نظرت إليه بغضب وشراسة واقتربت منه ببطء، تعلقت عين أمير بها وهو يقول لها: لا..

اقتربت منه أكثر وهي تطلق زمجرة عالية وانقضت عليه بوحشية وأمسكته من شعره بقوة، ونظرت في عينيه وهي تقترب منه تحاول الفتك به، لكنها توقفت فجأة وهي ترتعد بقوة، وسقطت على الأرض، وأخذت تتلوى من الألم، وتقيأت كثيرًا سائلًا أصفر لزجًا.. وفقدت الوعي.

بكى أمير وهو يقول بانهيار: أنا آسف.. آسف.

اعتقد أنها فارقت الحياة.. ظل مصدومًا برهة من الوقت وعيناه متعلقتان بها في ذهول وفجأة سمعها تطلق آهة ألم.

قال لها بسعادة: أفيقي.. أفيقي.. حمدًا لله.. حمدًا لله.

فتحت عينيها فوجدته ينظر إليها بسعادة وهو يردد: حمدًا لله.. حمدًا لله.

قامت من مكانها وهي تقترب منه قائلة: أمير.

أسرعت تفك قيوده، وبمجرد أن تحرر من قيوده احتضنها بقوة قائلًا: حمدًا لله.. حمدًا لله.

قالت له وهي تنظر إليه: أمير، ما الأمر.

- لم يستطيعوا تحويلك.

- وكيف تعرف ذلك؟

- من رائحة دمك.. من رائحتك.

نظرت إليه هاتفه بذعر: ماذا.. هذه مشكلة إذن.

نظر إليها بتساؤل: لماذا؟

أجابت ببساطة: لأنهم سرعان ما سيكتشفون الأمر مثلك.

ناولها منديلًا.. نظفت وجهها من بقايا المصل، وهو ينظر إليها بسعادة: لا تخافي.. أنا فقط من يستطيع تمييزه.

وأبتسم قائلًا: من الجيد أن يحتفظ المرء لنفسه ببعض الأسرار!!

تنهدت في عمق قائلة: حمدًا لله.

اقتربت منه وهي تقول بجدية: أمير لا بد أن نغادر هذا المكان اللعين.

نظر إليها واتسعت عيناه بدهشة وهو يقول: مستحيل.. وتأكد من شيء واحد أنها تنتمي إلى هذا المكان، وأن الأمر لم يكن صدفة إطلاقًا.

ضمها إليه وهو يربِّت على ظهرها محاولًا السيطرة على مشاعره تجاهها. عندما لمس شعرها استعاد وجهه بعض الذكريات التي ظهرت له كومضات فلاشية مع حبيبته، جعلته ينتفض بقوة مبتعدًا عنها.

قالت بدهشة: ما الأمر؟

حدق بها بعينيه الواسعة هاتفًا: أنت...

وتردد ثم قال لها: لا شيء.. هيا بنا.

- أمير، لا بد أن تساعدني، لا بد أن ندمر هذا المكان اللعين، إنه الجحيم بعينه.

لا بد أن نضع حدًّا لما يجري هنا.

- حسنًا..

نظرت إليه قائلة بسعادة: هذا أصوب شيء.

قال وهو يحتضنها بقوة: أولًا.. لا بد أن أخرجك من هنا، وبعدها سأعود لتدميره.

- لا.. لن أغادر هذا المكان إلا معك.

نظر في عينيها بحب وقال لها بعد لحظه تفكير: حسنًا..

وجذبها من يدها واتجه صوب أحد جدران الغرفة وأزاحه جانبًا، ومرا منه وأعاده إلى مكانه بسرعة.

سارت معه.. كان من الواضح أنه يعلم المكان جيدًا، بل يحفظ كل شبر فيه عن ظهر قلب.

ظل يركضان وأمام أحد الأبواب الزجاجية الضخمة وقف يرهف السمع.

وعندما تأكد أنه خالٍ دخل. وقفت مندهشة مما ترى؛ كانت الغرفة ضخمة، مقسمة إلى طابقين، وبه أشخاص يرقدون وسط

سوائل، داخل صناديق زجاجية شفافة، كأنها حضانات. نظرت إليه هامسة: ما هذا المكان؟

- المعمل. وصعِد بخفة إلى الطابق العلوي، وعند غرفة توليد الطاقة

قام بفصل الطاقه عن الأشخاص الموجودين في الحضانات، وبمجرد أن فصل تلك الأجهزة عنهم إذ سمعا صوت أنات وآهات ألم، وأعقبه صمت تام!!

أعطاها ملابس عسكرية ووقف يساعدها في كيفية ارتدائها.

قالت له بارتباك وحيرة: أمير، تظهر أمامي أطياف من الماضي.

قال لها هذا طبيعي بسبب المصل؛ لأنه ينشط خلايا الجسم، لكن بنيتك قوية، ولفظت المصل، أمسكت يده قائلة: أمير، ما قصتك مع هذا الرجل؟

قال أمير بحزن وهو يسير معها: أحببت فتاة في السابق، وعندما علم الجنرال بذلك قتلها أمام عينيَّ؛ لأنه يعتقد أنه أننا كمخلَّقين لا يجب أن يكون لدينا نقاط ضعف وأن نعيش بلا مشاعر.

حتى إنه يتعامل مع هذا الأمر بكل جهد من أجل القضاء على آخر شعور إنساني بداخلنا.

قالت له وهي تتذكر بعضًا مما قاله.. لقاءت لها مع فتى لا تزال صورته مهزوزة: لمار.. لمار.. أليس كذلك؟

حدق أمير في وجهها وقال لها: كيف.. كيف علمتِ اسمها؟ هذا الاسم الذي كنت أُناديها به!!

اسم لا يعلمه إلا ثلاثة؛ أنا وهي والجنرال؟؟

حدقت بوجهه لحظة وقد بدأت ذكرياتها تتضح أكثر فأكثر، هاتفة وهي تمسك رأسها بيديها: وأنت.. أنت.. يا أمير.

توقف وهو يحدق بها قائلًا: هذا مستحيل.

- أمير أخبرني ما الأمر؛ أنا لا أفهم شيئًا؛ عقلي مشوش.

سار معها بحذر وهو يقول لها: الجنرال.

قالت له: هتان!!

- نعم، كان طبيبًا في أحد المستشفيات الكبرى، وكنت وقتها طبيبًا حديث التخرج. أخبرني يومًا أنه يستطيع إجراء تجارب على البشر، لكنه يحتاج من يعمل معه في سرية تامة لضمان سلامة المشروع!!

وافقته.. وبدأ بي.. فقام بتعديل بعض الجينات في جسمي ونجحت، وغادرنا المكان إلى أحد الأماكن النائية الأكثر تطورًا، في مركز طبي في أطراف مدينة نصر، اكتشفت أن هذا المركز تحت الإنشاء وقام هو بتجهيز عدة غرف فيه لإجراء التجارب، وهناك

قابلت لمار، واستطاعت أن تساعدني في اتخاذ القرار الجيد بالابتعاد عن هتان، لكنه علم بطريقة ما أننا سنرحل، وقتلها أمامي...

كان أمير يقص كل ما سبق وهي تتذكر كل التفاصيل.

قالت له بتعجب: وما علاقتي بكل تلك الأمور؟!

رد بحذر: الأمر واضح لا يحتمل أي تفسير آخر سوى أنك لم تموتي كما اعتقدنا.. و أنك عدتِ إلى نفس المكان الذي خُلِّقتِ فيه تقريبًا؛ لأن عمر المستعمرة حوالي عشر سنوات وهذا الحادث حدث في نفس التوقيت بالفعل.

حدقت في وجهه قائلة: هذا يعني أنني مخلَّقة مثل تلك المخلَّقات.

أجاب ببساطة وثقة: أكيد.. وهذا يفسر لماذا لفظ جسدك المصل.

أطرقت برأسها بحزن قائلة: من تظنون أنفسكم حتى ترتكبون مثل تلك الأمور البشعة؟!

نظر إليها بحزن وندم قائلًا: لمار.. لا بد أن تخرجي من هنا.

- لا تضيع وقتك في حمايتي لن أغادر أبدًا إنه مكاني الطبيعي.. بيتي.
- الآن فقط أدركت لماذا أشعر بالحنين والانجذاب لهذا المكان.

اقترب منها ونظر في عينيها بحب وشوق قائلًا: لمار، لن أتخلى عنكِ مرة أخرى.. لا بد أن تغادري، لن يحتمل قلبي صدمة فراقكِ مرة أخرى.

نظـرت إليه طويـلًا ثم قالت: أعتقد أنه بعد ما سـمعته منك، لن أستطيع العودة للحياة الطبيعية.

- انظري إلى نفسك، أنتِ مختلفة عنا، استطعتِ أن تعيشي كل تلك السنوات بصورة طبيعية.

- أعلـم... أقصد بعد الآن لن أسـتطيع أن أتعامل مع الأمر كأن شيئًا لم يكن..

فجأة وجدها تحمل أسطوانة أكسجين، وتسير معه بغضب:

- ما الأمر؟! ماذا تفعلين؟!

- سترى.

- وبمجـرد أن خرجا من الطريق المؤدي إلى غرفة المعمل فتحت الأسطوانة

وألقت عود ثقاب فانفجر المكان بقوة مطيحًا بهما لعدة أمتار.. وبدأ الكهف في التصدع.

جذبهـا مـن يدهـا بقوة وهـو يركـض قائـلًا: صـوت الانفجار سيلفت أنظارهم إلينا هيا بنا. وفجأة.. قابلهم بعض الجنود قائلين: توقفوا.. وأمطروهما بوابل من الرصاص.

اسـتطاعا الهـرب منهـم، وظـلا يركضـان وأجزاء مـن الكهف تتساقط عليهما. وفي ممر جانبي عندما وصلا إليه قال أمير: اقتربنا كثيرًا.

ظـلا يركضا وكلما برز أمامه أي جندي كان أمير يبدي ردة فعل قويـة وسـريعة ولأنـه مدرب جيـدًا. كان يقتلهم ببسـاطة بسـلاحه مصوبًـا على الـرأس وفي منتصف الممر وجد شـعاعًا من الضوء، فقال مبتسمًا: أشرفنا على الوصول.

فجـأه بـرز أمامه عـدد كبير مـن الجنود توقـف أمامهـا يحميها بجسده قائلًا لهم بوحشية: ابتعدو عن طريقي.

في حين اختبأت هي خلفه محتمية به، وأمسكت كفه خلسة في محاولة يائسة لالتماس الطمأنينه منه.

سمعا صوتًا يصدر من خلفهما يقول: إلى أين أيها الجندي؟

التفتـا فوجـدا الجنرال يقـف وبرفقته عدد من الجنود شـاهرين أسلحتهم في وجوهم

قال أمير بثورة: ألا تسـتوعب الأمر بعـد، حلمك انتهى.. انتهى كل شيء.

قال هتان بقسوة: ليس بعد..

حدق أمير في وجهه بدهشة هاتفًا: ماذا تقصد؟

أشـار هتان إليهـا، وجد أمير أحـد الجنود يصوب سـلاحه إلى قلبها.

نظـر إليهـا بفزع وقال لهم برجاءٍ وسـط تعالي أصوات فرقعات داخـل الكهـف جـراء الانفجـارات المتتابعة: أتوسـل إليك أطلق

سراحها.. ليس لها ذنب.. أنا المذنب أقتلني أنا.. حسابك معي أنا، دعها أرجوك..

وخفق قلبه بشدة من فرط الخوف.

اقترب هتان منها وهو يستمتع برؤية نظرات الذعر المرتسمة على وجهها قائلًا: عظيم.. عظيم.. لكن، أنتما الاثنان ملك لي!!

قالت له بغضب وتوتر: أيها المعتوه، نحن ملك للخالق.

رد بزهو: وأنا من خلقكم.

أنا من زرعتك في رحم أمك، وأنا من عدلت صفاتك.

حدقت في وجهه قائلة: مجنون.

أكمل متجاهلًا كلماتها: بعد أن زرعتك في رحم أمك، بطريقة ما اختفيت، لكن،

ها أنتِ تعودين إلى البيت مرة أخرى كما تقول الكتب العلمية بالضبط!!

هذه المرة سأشرف على قتلك بنفسي وسأعيدك لي كما أريد أنا.

نظرت إليه وعيناها كلهما كراهية، وهمت بالهجوم عليه لكن أحد الجنود أوقفها وهو يقيدها.

قال أمير: أيها الوغد، لا تلمسها.. ابتعد عنها.

تعلقت عيناها بعيني أمير وقالت له: أمير، أنا أحبك.

تعلقت عيناه بها بحب وأسف مرددًا: وأنا.. يا حبيبتي.

أشـار الجنرال بيده إلى الجندي الذي أطلق الرصاص ببساطة، وسقطت أمامهم صريعة

هتف أمير بغضب وثـورة: لا.. لا..لمار.. لمار.. حبيبتي ردي عليَّ.. لا تتركيني. وجرى إليها يحتضنها وهو يبكي بحسرة؛

صوب الجنود أسـلحتهم إليه لكن الجنرال أوقفهم بإشـارة من يده وهو

يحدق في وجه أمير بدهشة قائلًا: من؟

هتف أمير بحسرة: نعم.. إنها هي.. لمار.. لم تمت.. لم تمت.. وانهار باكيًا على الأرض.

اتسـعت عين الجنرال عن آخرهما بذهـول وعيناه متعلقتان بها بدهشة شديدة، واقترب منها.

هتف أمير وهو ينقض عليه كالوحش الكاسـر ممسـكًا بتلابيبه: أيها الوغد.. ابتعد عنها.. لا تدنسـها بيدك الآثمة. سأقتلع عينيك.. كان هتان مصدومًا تاركًا أمير يهاجمه بذهول وفوجئ به أمير يحدق بها وهو يدنو منها مذهولًا، ويمرر يده على شعرها باكيًا

مرددًا: لمار.. ابنتي.. مستحيل..

لماذا لم تخبريني؟

كيف لم أفكر في هذا الاحتمال؟

وشـرد وتذكر منذ بضع سـنوات، عندما قتلت وحـاول العثور على جثتها لأخذ بصمتها الجينية لاستنسـاخها مرة أخرى؛ أخبروه أن جثتها احترقت.

حدق أمير في وجهه قائلًا بدهشة: ابتعد أيها الوغد.. لا تلمسها.

نظر إليه هتان قائلًا في انهيار وحزن: نعم يا أمير.. إنها ابنتي.

عندمـا جاءتني أمهـا كي ألقحها صناعيًّا اسـتبدلت بعينتها عينة مني،

إنهـا ابنتـي.. وعندما علمت بمـا أقوم به عارضتنـي خاصة بعد تعلقها بك؛ خططت للهرب معك؛ كنت متأكدًا أني سـوف أعيدها حتى لو ماتت لكن جثتها اختفت أو هكذا أخبروني.

تركهـا أمير والتفـت إليه قائلًا بغضـب: أيها المجنـون.. قتلت ابنتك، حطمت قلب ابنتك مرتين أيها المعتوه.

وانقـض عليـه يلكمه بغضـب. ظل الرجـل يبكي بحسـرة أمام جثتهـا ولم يبدِ أي رد فعل علـى هجوم أمير عليه.. كان مصدومًا.. محطمًا.. اقترب أمير منها واحتضنها بحب غير مصدق أنها فارقت الحياة بين ذراعيه وهو يردد: لن أتركك.. لن أتركك..

حبيبتي ردى عليَّ وانهار باكيًا وهو يحتضنها بلوعة وانكسار..

وحملها بين يديه واتجه بها إلى فتحة الكهف، أفسـح له الجنود الطريق كي يمر، وقبل أن يخطو خطوة أخرى سـمع الجنرال يقول له: توقف.. أنتما الاثنان ملك لي.

توقف أمير عن السير والتفت إلى الجنرال وجده يصوب سلاحه إلى قلبه وأطلق النار عليه فسقط صريعًا وهو يحتضن جثتها. وظل هتان واقفًا ينظر إلى جثتيهما وهو يضحك ضحكات شيطانية، وبدأت الأرض في التشقق من وقع الانفجارات المتتالية، وهرب الجنود بعد أن بدأت الحجارة في التساقط عليهم متفرقين في عدة اتجاهات محاولين النجاة بأنفسهم

وانهار جزء كبير من الكهف مغلقًا فتحة الكهف، وسقطت الحجارة مع تتابع اندلاع النيران وأصوات الانفجارات في داخل الكهف التي هزت أركان المكان، وسقطت صخرة كبيرة أغلقت فتحة الكهف إلى الأبد!!!

وحول الجبل تجمع الناس من سكان المنطقة المجاورة على صوت الانفجارات وهم يرددون: لا حول ولا قوة إلا بالله؛ نعوذ بالله من الخبث والخبائث.

وبعضهم ظل واقفًا يستمع إلى أصوات الانفجارات، والصراخ الذي ينبعث من قلب الجبل بخوف وذعر.

تمت

إلى اللقاء في الجزء الثاني

■■■

بعد مرور أكثر من شهرين

في منـزل متواضع في قريـة الجواهرجي بمحافظـة الفيوم فتح أمير عينيه ببطء اكتشـف أنه راقد على سـرير خشـبي يصدر صريرًا إذا تحـرك، جال ببصره في الغرفة وهو يحرك أطرافه ببطء واعتدل جالسًـا وهو ينظر حوله، وجد نفســه في غرفة متواضعة جدًّا، مبنية من الطوب الأحمر، ولها نافذة خشبية مطلة على حقل كبير نوافذها مغطاة بكيس بلاسـتيك سـميك والغرفة تتوسـطها منضدة خشـبية متهالكـة وكنبـة بلـدي بعرض متـر عليها فـرش متواضـع ورائحة الرطوبة تزكم الأنوف

وقف أمير وهو يقاوم الدوار الذي اعتراه، وتقدم خطوتين للأمام وهو يستعيد ما حدث له، متذكرًا كيف قتل هتان لمار وأطلق عليه النـار قبـل أن يتهـدم المكان؛ وقطع شـروده صوت شـخص يقول بسـعادة هاتفًا: مرحى يا رجل، حمدًا لله على سلامتك؛ لم أصدق أذني عندما سـمعت صوت صرير السـرير، أنـت نجوت بمعجزة. نظر أمير إلى صاحب الصوت وجده شـابًّا لا تتعدى سنه الـ(25) عامًا، نحيفًا، أشـقر الشـعر، عيناه زرقاوان زرقة غير عادية، وأحمر الوجه، وهو يتساءل بدهشة:

من أنت؟ وأين أنا؟ ومنذ متى وأنا هنا؟ وكيف أتيت إلى هنا؟

نظر إليه صاحب الصوت قائلًا بسعادة: سوف أجيبك عن كل تساؤلاتك، لكن بعد أن تبدل ملابسك وتهذب لحيتك، ثم مازحه قائلًا:

تبدو كرجل الغابة المتوحش، إنسان الغاب.. هل سمعت عنه؟

ابتسم أمير بضعف دون أن يتفوه بكلمة، تابع الشاب قائلًا:

سأنتظرك في شقتنا المقابلة، أمامنا اليوم بأكمله نتحدث فيه.

نظر أمير إلى ملابسه المهترئه وهو يقول: أنت محق.

همَّ محيي بالمغادرة، لكنه توقف عندما سمع أمير يقول:

على الأقل أعرف اسمك يا رجل.

رد الشاب ببساطة: محيي.

وقبل أن يغادر الغرفة قال له: هناك جلباب أبيض وملابس داخلية في الدولاب.

نظر إليه أمير بامتنان قائلًا: أشكرك.

أغلق محيي الباب وهو يردد: حمدًا لله.

قابله والده الذي قال له: تبدو سعيدًا! ما الأمر؟ هل استعاد أحدٌ وعيه؟

نظر إليه محيي قائلًا ببهجة: الشاب يا أبي، استعاد وعيه وهو حاليًّا يبدل ملابسه.

قال والده وهو ينادي على زوجته: يا أم محيي، جهزي الطعام، وزيديه فلدينا ضيوف.

تمتممت والدة محيي بضيق وهي في المطبخ قائلة: هذا ما كان ينقصنا.. ضيوف!!

في حين توجه أمير إلى دورة المياه.

نظر إلى دورة المياه البدائية وهو يتطلع إلى نفسه في نصف المرآة المكسورة المعلقة على الحائط فوق الحوض الصغير الموجود على يسار الداخل.

كانت دورة مياه بدائية بمعنى الكلمة؛ دُش صدئ في أحد الجوانب؛ وكانت مستطيلة الشكل والأرض على المحارة، وبها قاعدة حمام بلدي أرضية، وطبق بلاستيك أزرق كبير متسخ، وبرميل أزرق بغطاء أسود، فوقه إناء معدني في أحد الجوانب، وصابونة، وليفة.

أغلق أمير الباب الذي أصدر صريرًا مزعجًا، وهو يحتك بالأرض بخشونة.

وقف ينظر إلى نفسه في المرآة.. وجد لحيته الكثيفة تخفي وجهه بأكمله تقريبًا، كان أشبه برجل الغابة؛ بلحيته الكثيفة، وتحت عينيه أصبح داكنًا، وأصبح جسده أنحف كثيرًا مما سبق، وتنبعث من ملابسه رائحة عرق كريهة مختلطة برائحة الأدوية.

نزع ملابسه بأكملها ووقف تحت الدش وهو يستمتع بقطرات الماء وهي تغمر جسده، وأغمض عينيه بقوة وظهرت للحظة كومضات فلاشية أمام عينيه غادة وهي تنظر إليه بحزن.

فتح عينيه بسرعة وهو يتلفت حوله بحيرة ودقات قلبه تتسارع بقوة، ثم توجه إلى المرآة وقام بحلق ذقنه تمامًا.

وارتدى الجلباب الذي تركه له محيي.

نظر إلى نفسه في المرآة وضحك قائلًا: الآن أصبحت إنسانًا فقط بدون الغاب.

وفتح باب غرفته.. وجد باقي الشقة عبارة عن حوائط بلا شبابيك.. كان من الواضح أنهم قاموا بتجهيز هذه الغرفة بسرعة من أجل استضافته. خرج من الطرقة التي توجد بها غرفته مع بعض الغرف الأخرى التي ما زالت على الطوب الأحمر، عابرًا الصالةَ متجهًا إلى طرقة لها سور منخفض مبني من الأسمنت فقط. نظر إلى أسفل محصيًا الطوابق، وجد أنه في الطابق الرابع، وقف أمام باب الشقة المقابلة، الخشبي الأحمر اللون، ورن الجرس.. أسرع محيي ففتح الباب وهو يقول بسعادة: مرحبًا.. مرحبًا، تفضل.

نظر إليه أمير مبتسمًا ودخل خلف محيي متجهًا إلى غرفة مربعة الشكل نظيفة تنبعث منها رائحة الطلاء، يبدو أنها حديثة الطلاء. كانت الغرفة يتوسط سقفها مروحة بنية اللون وبها نجفة، وفوق

الباب كشاف نيون أبيض، والحوائط لونها أخضر فاتح ومفروشة بأثاث بسيط؛ كنب من القطن، وعليه بياضات،

لاحظ محيي أن أمير تفحص المكان

قال محيي: هذه شقتي الذي سأتزوج فيها.

انتهيت حديثًا من تشطيبها.

قال أمير وهو يجلس على الكنبة: هل ستتزوج؟

رد محيي: نعم؛ أجلنا الأمر أكثر من مرة لظروف طارئة، لكن آخر هذا الشهر سأتزوج.

قال أمير: مبارك.

رد محيي: أشكرك.

جاء والد محيي فقام أمير من مكانه احترامًا له وصافحه قائلًا: سيدي أشكرك.

ابتسم والد محيي قائلًا: لا مجال للشكر بيننا يا ولدي فأنت في سن ابني محمد المقيم بالسعودية.

قال أمير بخجل: أشكرك على الاهتمام بي رغم أنني ما زالت لا أعلم كيف جئت إلى هنا؟؟ ولا منذ متى وأنا هنا؟؟

اتسعت ابتسامة والد محيي قائلًا: لا تفكر كثيرًا يا ولدي، سيخبرك محيي بكل ما تريد لأن إجابات أسئلتك كلها عند محيي.

نظر محيي إلى والده قائلًا: كل ما عملته فبفضل إرشاداتك يا أبي، ولولا سعة صدرك وتفهمك الأمورَ لما وصلنا إلى ما نحن فيه.

نظر أمير إلى والد محيي قائلًا: أشكرك.. الكلمات تعجز عن وصف ما أود قوله..

كان القلق ينهش قلب أمير نهشًا خائفًا من مواجهة الحقيقة، رافضًا الاعتراف أنه من الممكن جدًّا أنه يصدمه محيي ويخبره أنه لم يجد غادة أو أنها دفنت...

ربَّت والد محيي على قدم أمير بامتنان دون أن يتحدث.

جلس أمير على مقعد خشبي حول منضدة بلاستيك دائرية الشكل لونها أحمر، وأخذ يتطلع إلى عين محيي بتساؤل والفضول ينهش قلبه وعقله نهشًا، وهم يتناولون الطعام الذي أعدته والدة محيي، جهزت لهم فطيرًا (مشلتت) وجبنًا قديمًا؛ وجبنًا (قريش) وسريسًا وجرجيرًا وخيارًا وبيضًا مسلوقًا وفولًا وعسلًا أسود.

التهم أمير الأكل كأنه أول مرة يرى هذه الأطعمة.

قال والد محيي: بألف هناء يا ولدي.

نظر أمير إلى والد محيي وهو يأكل الفطير، وتذكر والده مرددًا: رحمك الله يا أبي.

كان والد محيي رجلًا في أوائل الستينيات، نحيفًا، يرتدي جلبابًا واسعًا مخططًا، ويضع على رأسه طاقية صوف كبيرة بنية اللون، وكوفية بني غامق على كتفه؛ وبعد قليل

انصرف والد محيي كي ينام، وجلس محيي مع أمير على مقعد مقابل، وهو يناوله كوب شاي قائلًا: أولًا.. حمدًا لله على سلامتك.

ثانيًا.. سأجيب على كل تساؤلاتك التي تنطق بها عيناك.

نظر إليه أمير بحيرة قائلًا: أين أنا؟ ومن الذي أحضرني إلى هنا وكيف؟

قال محيي ببساطة: أنا محيي عبد الدايم؛ أعمل قهوجي في قهوة السعادة المجاورة لمكان الحادث.

أنت في محافظة الفيوم في قرية الجواهرجي.

وهذا منزلنا المتواضع أعيش فيه أنا وأمي وأبي، باقي إخوتي يعملون في القاهرة وفي الخليج. نحن ستة أبناء، أربع أولاد وبنتان.

أخواتي البنات متزوجات وتعشن في القاهرة.

أهلي يعملون بالفلاحة وأنا أساعدهم قدر استطاعتي، وأنا من أحضرك إلى هنا!!

قال أمير بتساؤل: كيف؟ وكيف وأين وجدتني؟

أجاب محيي متذكرًا ما حدث قائلًا:

كنت أعمل في المقهى عندما شعرنا بالأرض تهتز تحت أقدامنا، ظننا أنها هِزة أرضية،

لكن فجأة سمعنا أصوات انفجارات ضخمة متتالية قادمة من منطقة الاستصلاحات؛ القريبة من منطقة المقابر. الأغلبية منا من سكان القرية انتابه الخوف لأن اصوات الانفجارات كانت مثل أصوات فرقعة ضخمة، وصاحبتها أصوات صراخ

رهيبة يشيب لها فود الوليد. ظن البعض أن أبواب جهنم قد فتحت على القرية وأن بركانًا ثائرًا على وشْك الانفجار وإبادة القرية بأكملها. وأبلغ آخرون الشرطة وذهبت أنا وبعض الشباب وقمنا بعمل حائل يمنع أي أحد من أن يدخل المنطقة خوفًا عليهم؛ لأننا لا نعلم ما نواجهه؛ فالجبل على مدار السنوات شكل لغزًا شديد الغموض.

ظلت أصوات الانفجارات تهز الأرض تحت أقدامنا حتى فوجئنا بانهيارات ضخمة تحدث في قلب الجبل بشكل مخيف وخطير جدًّا.

جرى كل من كان معي وكل من كان بالقرب من المكان وكل من جذبه صوت الجلبة للمشاهدة واستطلاع الأمر بدافع الفضول.

الكل هرب.. الكل فر.. خوفًا من المجهول، وانتشرت الشائعات، الجبل المسكون تخلى عن سكونه. إنه يوم الفصل، يوم الحساب، الله غاضب على قريتنا وأرسل من يبديها عن آخرها..

وآخرون قالوا: الجبل المسكون بتجار السلاح انقلب عليهم،

لكنني لم أخف مثلهم.. ظللت واقفًا متابعًا كلَّ ما يحدث حتى هدأت الأصوات تمامًا وتوقفت الانهيارات الصخرية، وقررت التجول حول الركام لاستطلاع الأمر وهناك وجدتك أنت وفتاة غارقيْنِ في دمائكما.

نظر إليه أمير بدهشة وهوى قلبه بين أضلعه وأكمل بخوف وتردد قائلًا: والفتاة؟

قال محيي ببساطة: الفتاة موجودة وبخير.

تهللت أسارير أمير وهو يتنفس الصعداء وقفز من مكانه هاتفًا: بخير؟ أين هي؟ أريد أن أراها؟

نظر إليه محيي قائلًا: هي بخير تتعافى، لكن إصابتها كانت أعمق منك؛ لأنها فقدت الكثير من الدماء ودخلت في غيبوبة، نقص الدماء أثر على جزء من المخ مما أدى إلى إصابتها بإعاقة خفيفة في الجانب الأيسر من جسمها بالكامل في ذراعها الأيسر وقدمها أيضًا.

انتفض أمير واقفا قائلًا بلهفة: خذني إليها... المهم أنها على قيد الحياة.

قال محيي ببساطة: حسنًا هيا بنا إنها هنا في نفس العقار، الطابق السفلي المقابل لشقة أمي.

لكنك لم تخبرني بعد من تكون؟ وماذا كنتم تفعلون في هذا المكان؟

سـار أمير مع محيي هابطًا بضع درجات سـلم خرسانية، متجهًا إلى شـقة مقابلة لشـقة أخرى معدة للسـكن؛ طـرق الباب وفتحت والـدة محيي التي هتفت بسـعادة وطيبة: حمدًا لله على سـلامتك يا ولدي.

قال أمير: أشـكرك يا أمي؛ أشـكرك على تعبـك وعلى رعايتك لنا.

كانت والدة محيي سـيدة قصيرة ونحيفـة خمرية اللون، ترتدي جلابية سـوداء مشـجرة، تضع على رأسـها طرحة سـوداء، وتشمر عن سـاعديها لمنتصف معصميها، وتمشي بانحناءة خفيفة للأمام، وجهها تعلوه تجاعيد تدل على الشقاء والفقر والتعب، ورغم ذلك فقد كانت تعلو وجهها ابتسامة جميلة.

قا ل محيي موجهًا كلامه لوالدته: أمي، يريد أن يرى الفتاة.

قالت والدته وهي ترشد أمير إلى الغرفة: إنها هناك.

همَّ محيي أن يدخل معه الغرفة فقالت له والدته بحسم: محيي!! دعه بمفرده معها.

نظر إليها محيي قائلًا بمرح: أوامرك يا أمي الحبيبة.

أريد أن آخذ رأيك في أمر مهم.

جلست معه على الأرض قائلة: خيرًا.

ودخـل أمير الغرفة فوجد غـادة فاقدة الوعي، وهـي في غيبوبة تامة.

جلس أمامها وهو يحتضن كفها بحب مقبلًا إياه، واقترب من أنفها وفمها كأنه يتأكد أنها لا تزال تتنفس وانهار باكيًا غير مصدق ما يراه، أخذ يدور في الغرفة كالمجنون وقلبه يئن من فرط الألم والسعادة واحتار؛ لماذا هو منهار هكذا؟

إذا كانت حبيبته ترقد بجواره!!

وردد عقله: خوفك في محله؛ إنها لا تزال في يد الخالق، لم تستعد وعيها بعدُ، لا بد أن تكون مستعدًّا لتقبل أسوأ الاحتمالات. جلس بجوارها على السرير وهو يضع رأسه على صدرها باكيًا مرددًا، أعلم أنك قوية وستتعافين.

وشعر بها بين يديه تشهق بقوة.

التفت إليها وهو يزيح شعرها عن وجهها ويتأمل ملامح وجهها الباهتة الصامتة قائلًا: غادة.. هل تسمعينني؟؟ غادة.. أنا أمير حبيبك..

حبيبتي، أفيقي بالله عليكِ.

حبيبتي، لن أتركك بعد الآن.

ظل محتضنًا إياها لدقائق وهو يبكي بحزن ودموعه تبلل وجهها.

لم يشعر بأقدام والدة محيي وهي تدخل الغرفة عليه.

ربَّتت على كتفه قائلة بحنان: هون عليك يا ولدي؛ حمدًا لله أنه كتب لها النجاة

نظر إليها أمير وهو يتظاهر بالتماسك: حمدًا لله..

مسح دموعه بيديه ثم غطاها بالبطانية وأزاح شعرها عن وجهها ممدًا إياه بيديه كأنه يصففه لها بأصابعه المرتعدة.

وكان يتذكرها وهي ساقطة أمامه مفارقة للحياة وغارقة في دمائها، لا يفارق ذلك ذهنه..

تنهد بقوة والتفت إلى والدة محيي وهو يقول هامسًا: أشكرك.. بل أقبل أقدامكم التي تعبت من أجلنا. لولاكم لما كنا هنا.

نظرت إليه والدة محيي بخجل دون رد.

خرج أمير من الغرفة فوجد محيي ينتظره في الصالة المربعة الشكل التي لا يوجد بها أي أثاث، فقط الأرض مغطاة بحصيرة بلاستيك لونها أحمر زاهٍ، والحوائط عليها طلاء زيتي كريمي اللون تتوسط الحائط برواز زجاجي مذهب عليه المعوذتان ولمبة نيون في سقف الصالة مما جعل الإضاءة فيها مبهرة. سار محيي مع أمير متجهًا إلى شقة محيي في الطابق العلوي. جلس محيي مع أمير حول الترابيزة البلاستيك،

والتفت إلى محيي قائلًا: لم تكمل كيف وجدتنا؟

نظر إليه محيي قائلًا:

كنت أقف بالقرب من الطريق الأسفلتي، فلمحت وجود فجوة كبيرة بالقرب من المكان الذي أقف فيه، انتابني الفضول عن كنهها، لم أفكر كثيرًا وجدت نفسي أتسلق الصخور متقدمًا

من الفتحة واقتربت أكثر من المكان.. وجدت صخرة تسد الفتحة الكبيرة لكن بالرغم من أن الصخرة كانت تغلق الفجوة فإنه كانت هناك فتحة صغيرة تسمح بمرور شخص بالغ؛ ذهبت كي ألقي نظرة على المكان من خلال هذه الفتحة لمحت حذاءً بشريًّا يقابلني، لم أتردد، دخلت بسرعة من الفتحة الضيقة فوجدتك غارقًا في دمائك، وهي تبعد عنك بحوالي مترين وصخرة كبيرة خلفكما كنتما في مكان أشبه بالكهف مثل هؤلاء المنتشرين في بطن الجبل والذين نراهم في التليفزيون وعلى مواقع الإنترنت.

أخرجتك بصعوبة من المكان الضيق، وأخرجتها بعد ذلك واتصلت بصديق لي عنده تروسيكل، وأسرعت بنقلكم لأقرب مستشفى أنا وصديقي، إلى مستشفى الفيوم التعليمي.

الأطباء قاموا بمعجزة!! استطاعوا إخراج الرصاص من جسديكما، وبعد إجراء عدة جراحات لكما أخبرونا أن دورهم قد انتهى عند هذا الحد وأنكما بين يدي الخالق

ومرت أيام وأسابيع والشرطة تبحث عن أي هوية لكما، لكن لم تجد!! ولم يسأل عنكم أي أحد.

وكل ما استطعت أن أقوم به هو إبعاد المتطفلين من رجال الصحافة عنكم؛ ومنعهم من نشر أي صورة لكما احترامًا لخصوصيتكما، ولأننا لا نعرف عنكم أي شيء.. حتى الشرطة كان لها دور متعاون معنا في هذا الأمر..

ومرت أسابيع وأشهر وأنتما في غيبوبة في المستشفى إلى أن فوجئت بهم يومًا يخبروني أن حالتكما قد استقرت وأن الغيبوبة ستطول؛ ولكنها ستنتهي في يوم ما، ولا بد من استضافتكم أو نقلكم لإحدى دور الرعاية الخاصة في المحافظات القريبة منا، لأنهم بحاجة إلى السريرين اللذين تشغلانهما. عرضت الأمر على أبي فلم يتردد في استضافتكما ونقلكما إلى هنا.

وها أنت أمامنا وبيننا الآن.

قال أمير بامتنان: أنا مدين لك بحياتي يا محيي، أنت لا تعلم المعروف الذي أسديته لي، أنا أدين لك بحياتي وحياة زوجتي.

ضحك محيي بسعادة قائلًا: ستكتمل فرحتنا بعودتها هي أيضًا!!

قال أمير وهو يتذكر وجهها النائم: أنت محق.. لن تكتمل سعادتنا إلا باستعادتها الوعي، لكني سعيد لأنها على قيد الحياة.

شرد أمير لحظة مفكرًا في كلمات محيي عندما أخرجهم على حد وصفه من الكهف الجبلي.

هذا ليس له إلا تفسير واحد.. أن الانفجارات أغلقت فتحة الكهف تمامًا بعد النقطة التي قتلهم فيها هتان وجنوده.

هذا يعنى أن محيي لم يعلم أن هناك كهفًا حقيقيًّا داخل دروب الجبل.

وحمد الله أن محيي لم يفكر في البحث مرة ثانية عن الجبل وسره؛ وحمد الله أنه وجدهما لأنه لو لم يعثر عليهما لكان أحد ضحايا هتان.

وتذكر هتان قائلًا: تُرى، أين هو الآن؟ ماذا يفعل؟

هل نجا هو ومن معه؟

أم انتهت حياته تحت الصخور؟؟؟

قال محيي عندما وجده شاردًا ومستغرقًا في التفكير، متذكرًا: لم أكمل لك.

عندما أبلغنا الشرطة لم تحضر إلا بعد أن خمدت الانفجارات وهدأت الأوضاع تمامًا، أرسلوا حملة لاستطلاع الأمر.

لكنهم فوجئوا بطلقات نار تطلق عليهم من مكان ما تحصد أرواح رجال الشرطة حصدًا.

وانقلبت الدنيا رأسًا على عقب وحضرت قيادات الأمن إلى المكان، وظل المكان مغلقًا طوال الأسابيع الماضية بلا جدوى؛ أحضروا رجال الطب الشرعي والمباحث فلم يتوصلوا لأي أمر، ظل المكان تحت حماية الشرطة فترة لا بأس بها، لم يسمح لأي أحد بالاقتراب منها، حتى هدأت الأمور.

وتم تجاهل الأمر تمامًا لأن التحريات أثبتت أن المكان مهجور بالفعل وفسروا الأمر أنه ربما كان بعض الهجامين يسكنون بالقرب

منه أو يختبئون بداخله والانفجارات كشفت مكانهم لذا هاجموا حملة الشرطة وقتلوهم.

قال أمير بحذر: ومتى حدث إطلاق النار؟

أجاب محيي بعد أن هدأت الانفجارات تمامًا وبعد أن أخرجتك.

شرد أمير محدثًا نفسه: إذن فما زال هناك أحياء داخل الكهف.

وشعر بالسخط والحنق لأنه لايزال ضعيفًا ولم يتعافَ بشكل كامل ويشعر بالتعب من أقل مجهود.

قال محيي بفضول: والآن جاء دوري.

من أنت؟ومن تكون هي؟ وكيف دخلتما إلى هذا المكان وماذا حدث؟ وما سبب هذه الانفجارات؟

وهل يوجد بداخل هذا الجبل غيركما؟منذ متى وأنتما بداخله؟

ضحك أمير وهو يقول: تشعرني بأنني أمام وكيل نيابة.

قال محيي ضاحكًا: لا، لكن تأكد أن النيابة ستسألك نفس الأسئلة.

قال أمير: أنا أحمد عبد الوهاب دكتور تحاليل وهذه زوجتى مها عبد الهادي محامية،

كل ما أذكره أننا كنا نقضي يومًا هنا للسياحة على شاطئ البحيرة ضللنـا الطريق في أثناء عودتنا إلى القاهرة وخطفنا بعض الملثمين وعندما حاولنا الهرب أطلقوا علينا الرصاص.

نظر إليه محيي بدهشة وهو يستمع لروايته قائلًا: الأوغاد!! ماذا كانوا يريدون؟

قال أمير: فدية تعلم.. إن هذه الأمور تحدث كثيرًا مؤخرًا.

هز محيي رأسه موافقًا وهو يقول: الأوغاد؟ كم عددهم؟ كيف يبدون؟

أين يسكنون؟

قال أمير وهو يمسك رأسه متظاهرًا بأنه يتألم: لست أدري كم عددهم، كل ما أذكره أنهم ملثمون، وكانوا يقتادوننا في الصخور في مكان ناءٍ، لست أدري ما هو أو أين يقع!!

هز محيي راسه متفهمًا قائلًا: هجامون كما توقعت.

حمدًا لله على سلامتك سأتركك لتستريح الآن.. وداعًا.

تنهد أمير بقوة وحمد الله أن صدق محيي روايته.

هم محيي بالرحيل لكن أوقفه أمير قائلًا: طلب أخير..

تطلع إليه محيي بتساؤل في حين أكمل أمير قائلًا: أرجوك لا تخبر أحدًا أنني استعدت وعيي الآن.

قال محيي: اطمئن.. لقد نسى الناس أنك تقيم عندنا من الأساس.

تنفس أمير الصعداء قائلًا بامتنان: أشكرك.

قال محيي: أليس غريبًا ألَّا يسأل عنكما أحد؟؟ لم يظهر لكما قريب؟؟

قال أمير متظاهرًا بالتأثر: الأوغاد... أتذكر آخر مكالمة أجروها مع أهل زوجتي أخبروهم أنهم قتلوني وربما ظن أهلها أنهم قتلوها أيضًا.. تعلم في هذه الأمور يقتلون المخطوفين ويساومون الأهالي على النقود وفي كلتا الحالتين يحصلون على غرضهم ويقتلون الضحايا كما حاولوا معنا لولا أن ساقتك الأقدار إلينا..

هز محيي رأسه متفقًا معه هاتفًا: لست أدري.. كيف يجرؤون على القيام بهذه الأمور؟

كيف تطاوعهم قلوبهم على إزهاق الأرواح بمنتهى البساطة هكذا.

تنهد أمير محدثًا نفسه: كلنا مذنبون يا محيي؛ كلنا مخطئون، وهأنذا أدفع ضريبة خطئي، وأحصد نتيجة تجاربي في أقرب الأشخاص إلى قلبي!!!

■■■

قبل شهرين وفي منزل غادة أخذت والدتها تدور في غرفتها، والقلق يلتهم قلبها التهامًا وهي تتصل بابنتها وهاتفها يردد تلك

الرسـالة اللعينـة: الهاتف الذي طلبتـه ربما يكون مغلقًـا أو خارج نطاق الخدمة حاول الاتصال به في وقت لاحق.

نظـرت أمها إلى شاشــة الموبايل وهي تـردد: ردي يا غادة؛ هل اتفقنا على هذا!!

منذ متى وأنت تغلقين الهاتف؟!

■■■

على جانب آخر.

وصـل معتز إلى فندق المسـلة المطل على شـاطئ النيل، ذلك الفنـدق الشـهير بالطـراز الفرعونـي. يتميز فنـدق المسـلة بأن كل شـيء فيه فرعونـي؛ الردهة، الأعمـدة عبارة عن أعمدة أسـطوانية الشـكل رخامية ضخمة وأخرى دائرية، تشـبه إلـى حد كبير أعمدة معبد الكرنك. في سـاحة الفندق المطل على النيل نافورة فرعونية وبجوارهـا مسـلة فرعونية ضخمة. على بوابـات الفندق الزجاجية - التي تفتح بمجرد اقتراب الشـخص منها -تماثيل تحاكي مومياء توت عنخ آمون وكليوباترا.

باختصار.. الأجواء كلها فرعونية خالصة، والعاملون به يرتدون الـزي الفرعونـي المميز للمصـري القديم؛ برغـم أن أغلب فنادق محافظـة الأقصر يغلـب عليها الطراز الفرعوني فإن فندق المسـلة أكثرهـا شـبهًا بالعصـر الفرعوني. سـاعد تميـزه هذا فـي اجتذاب السياح من الأجانب والعرب. كان معتز يتجول في الفندق بسعادة

وهو يكاد يشم عبق التاريخ، كان يلتقط صورًا لكل ما يلفت نظره هناك خصوصًا المراكب النيلية، وحفلاتها، والأجواء المرحة التي تطمئن الفرد البسيط على مستقبل البلاد الاقتصادي. مكث أول ليلة في الفندق بانتظار أن تصل غادة كما اتفق معها.

وعندما لم تصل إلى غرفتها اتصل بـ(هدى) يستفسر عن الأمر.

ردت هدى بقلق: أنا أيضًا أتصل بها والهاتف مغلق...!

قال معتز: والحل؟

قالت هدى بحسم: قم أنت بعملك وأنا سأزورها في البيت، على حسب معلوماتي فإن والدتها مريضة، ربما اشتد عليها المرض وهو ما منعها من اللحاق بك.

أنهِ أنت مهمتك عندك وأنا سأبحث عنها، وسأتصل بك أُطلعك على مستجدات الأمور.

قال معتز بضيق: هذا لا يجوز يا أستاذة هدى، هذا شغل وأكل عيش؛ على الأقل تتصل تُبلغنا بالأمر؟؟

اعذريني..

لا بد أن أخبر رئيس القسم.. هذا استهتار.

قالت هدى بغضب: معتز أنهِ عملك أنت وعد، أنت غير ملزم بأي شيء غير أنك تصور الأماكن المهمة، وأهم معالم المحافظة.

دع الباقي لي وأخبر رئيس القسـم.. ليس لدينا ما نخافه، غادة على الأغلب مفقودة، نحن لا نمرح هنا.

قال معتذرًا: عفوًا يا أستاذة فأنا لم أقصد الإساءة، لكنك تعلمين أن الفكرة بأكملها كانت من اقتراح الأستاذة غادة وهي التي اختفت الآن. وهي المتسببة في هذا الوضع الحرج.

ردت هدى بعصبية: اسمعني جيدًا.. هل أخلفت غادة أو أي منا وعودها أو سبق أن أهملت أي عمل كلفت به من قبل.

رد معتز بحيرة: لا.

قالت هدى بنفاذ صبر: إذن فهناك ظرف استثنائي هو السبب في هذا الوضع.

رد معتز وهو يشعر بالأحراج: حسنًا يا أستاذة.. أنا آسف.

لكـن مـاذا تقصدين بأنها على الأغلب مفقـودة؟ هل حدث لها مكروه؟؟

ردت هدى بعصبية: لست أدري.. لست أدري..

أغلق الهاتـف بضجر غير مصدق لما يحدث هاتفًا: هذا ما كان ينقصني دلال الصحفيات.

أغلقت هدى الهاتف وهي تقول: أين أنتِ يا غادة؟ لماذا تغلقين هاتفك إلى الآن؟

واتصلـت بمنزل رقية وهي تقول: مسـاء الخير يا خالتي؟ كيف حالك؟

جاءها صوت رقية القلق قائلة: مرحبًا يا هدى كنت سأتصل بك؟ هل اتصلت غادة بكِ؟

قالت هدي بتردد: لم تتصل ولم أتصل بها، لماذا؟

قالت رقية: تليفونها مغلق وأنا أشعر بالقلق عليها.

قالت هدى: لا تقلقي يا خالتي؛ متى غادرت؟

قالت رقية: صباح أمس، ودعتني وأخذت حقيبتها وسافرت بالطائرة.

ومن وقتها وأنا لم أرها أو أسمع عنها أي شيء.

هل وصل زميلكم؟

قالت هدى بحيرة وتردد: نعم.. سبقها بالقطار.

قالت رقية بحيرة: سافر بالقطار وهي بالطائرة! لماذا لم يسافرا معًا كما هي العادة؟

قالت هدى: هذا ما حدث، على العموم سأستفسر عن الأمر، وسأعاود الاتصال بك،

وداعًا.. وأغلقت الهاتف.

ألقت رقية بجسدها على أقرب مقعد قائلة: قلبي غير مطمئن!! هناك أمر سيئ حدث...

■■■

وفي الجريدة أغلقت هدى التليفون وهي تردد بصوت عالٍ: أين أنتِ يا غادة؟

ثم اتصلت بمكتب الطيران الذي تتعامل معه الجريدة، تستفسر عن الرحلات المتجهة إلى الأقصر وعما إذا كان هناك حجز باسمها أم لا، ففوجئت بالموظفة تخبرها أنه لا يوجد أي حجز بهذا الاسم!!

وضعت هدى السماعة وقلبها يرتجف خوفًا قائلة: ماذا؟ لا يوجد حجز؟ أين هي إذن؟ اتصلت برقمها مرة ثانية وسمعت نفس الرسالة اللعينة!!!

أخذت تدور في غرفتها كالمجنونة وهي تردد بقلق محدثة نفسها: ماذا أفعل؟ كيف أتصرف؟

الوضع مريب وأشم رائحة كارثة على الأبواب.

فجأة خطر على ذهنها صديقهما وحيد؛ قالت لن يفيدنا في هذا الوضع إلا هو.

اتصلت به.. كانوا يطلقون عليه دائمًا العقل المفكر للقسم، دائمًا يقصدونه إذا حدثت مشكلة ما أو تورط أحدهم أو علق مع الشرطة. وحيد رئيس قسم الحوادث أرمل، ويعول ثلاثة أطفال؛ بنتان وولد. زوجته توفيت حديثًا، وهو في منتصف الأربعينيات، أسمر البشرة، قصير، وبدين، أصلع، يرتدي قميصًا كاروهات أزرق وبنطلونًا جينز أزرق فاتح.

قالت هدى: السلام عليكم، كيف الأحوال أستاذ وحيد؟

رد وحيد بسعادة مجاملًا: يا أهلًا وسهلًا، أشرقت الأنوار؛ أنا بخير وأنتِ؟

ردت هدى باقتضاب: بخير أشكرك؛ أريدك أن تمر عليَّ في المكتب؛ فهناك أمر مهم أريد أن أستشيرك فيه.

قال وحيد: أمهليني ساعة فقط؛ سأكون متفرغًا بعدها.

قالت له بتوتر: حسنًا.. أنا بانتظارك.

■■■

وبعد مرور ساعة جلس وحيد أمامها ينصت لما تقوله هدى باهتمام وعيناه متسعتان بدهشة ثم صمت لحظة مفكرًا قبل أن يرد قائلًا: أفهم من كلامك أن غادة مختفية،

وأن اختفاءها بإردتها وفقًا لما تقولين، وكما فهمت من روايتك، لأنها أخبرت معتز أنها ستلحق به بالطائرة ولم يحدث. قالت هدى بحيرة وعصبية: لست أدري؛ عقلي عاجز عن التفكير.

لكن ما أعرفه عنها أنه مهما حدث ومهما كانت الظروف فإنها تتصل بأمها على أقل تقدير، أنا أشعر أن مكروهًا أصابها.

قال وحيد بحذر: لماذا تقولين ذلك؟

قالت وهي تنظر إليه بعيون زائغة وتوتر وهي تضغط على حروف كلماتها: لست أدري.. لست أدري..

قـال وحيـد: يمكننا إبلاغ شـركة المحمـول التي تسـتطيع تتبع مكان الهاتف بسهولة عن طريق الجى بي إس.

قالت هدى بسعادة: كيف لم أفكر في هذا الأمر؟

قـال لها سـأجري اتصالاتي، ولا تخبري أي أحـد من الزملاء، مؤقتًـا.. ربما سـرق هاتفهـا أو تلف وهي سـتظهر، لا داعي لإثارة الذعر بلا أي داعٍ.

قالت متفهمة: اتفقنا.

وبعد عدة اتصالات هاتفية أجراها وحيد أمام هدى، قال لها:

لا نملك إلا الانتظار.

نظرت إليه غادة بقلق وهي تقول: هناك أمر آخر أريد أن أطلعك عليه؟

قال باهتمام: خيرًا.

قالـت: كنا نعمل على موضـوع قبل موضـوع الأقصر، وكانت غادة متحمسة جدًّا له، لكنها فجأة غيرت رأيها.

قال وحيد: وما علاقة هذا الأمر باختفائها؟

قالت هدى: المكان الذي كانت تعمل عنه التحقيق مشهور عنه أن من يذهب إليه يختفي في ظروف غامضة!!

اتسعت عيناه بذعر هاتفًا: ماذا؟

قالت له بخوف: لكنها أكدت لي أنها صرفت نظرها عنه تمامًا.

بل إنها من اقترح أن تقوم بالتغطية الأثرية والسفر إلى الأقصر.

قال وحيد بحيرة: صدفة غريبة فعلًا، عمومًا دعينا لا نستبق الأمور وننتظر نتيجة البحث عنها.

هزت هدى رأسها بيأس قائلة: أنت محق.. يجب ألَّا نستبق الأمور.

■ ■ ■

بعد عدة أيام لاحقة على استعادة أمير وعية؛ قضى أمير وقته كله في غرفة غادة مراقبًا إياها آملًا أن تستعيد وعيها، كان محيي لا يريده أنه يخرج أو أن يشعر الجيران أن الشخص المجهول الذي استضافه قد استعاد وعيه؛ حتى لا يسبب أي قلق لأهله من كثرة الزيارات من الجيران، كان يحمي أهله من فضول أهل القرية؛ وساعده على ذلك أن بيتهم كانت واجهته تطل على الحقل، على مساحة كبيرة من الأرض الزراعية التي يملكها محيي ووالده. بعيدق إلى حد ما عن باقي بيوت القرية..

وكان أمير يشعر بالخجل والضيق؛ لأنه حبيس البيت، ولا يخرج ولا يستطيع أن يعمل أو يقدم مساعدة لأهل محيي؛ لكنه كان متفهمًا حرص محيي عليه وعلى أهل بيته؛ لذا قام أمير بطلاء سلم العقار، وكان يستثمر وجوده في تشطيب الشقة التي يسكنها بمساعدة محيي، ساعده في ذلك خبرته في بناء المستعمرة مع الجنرال؛ حيث إنه عاصر كل مراحل تطوير الكهف بمعامله، مما

دعـى محيي للتعجب قائلًا: من يراك وأنـت تجيد هذه الأعمال لا يساوره أدنى شك أنك امتهنتها من قبل!!

أجـاب أمير بمرح: من منا لم يعمـل في وظائف عادية من أجل توفير لقمة عيشه؟!! ومن منا لم يجرب القيام بهذه الأمور في بيت الزوجية؟!

كان يقوم بتصليح أي شـيء لا يعمل في البيت بسـعادة ورضا، وكان يشعر بالسعادة لأنه يساعد محيي وعائلته على قدر استطاعته، وأخـذ يشـرف علـى حالة غـادة عن قـرب وأخذ يراقـب علامات جسـدها الحيويـة من نبض وتنفـس داعيًا من المولـى أن تعود إليه وأن تتغلـب علـى غيبوبتهـا، كان يجلس بجوارها ليـلًا وهو يقص عليها كل ما حدث طوال اليوم،

كان محيـي ووالدته ينظران إليه مشـفقيْنِ علـى حالته ظنًّا منهما أنه أشرف على فقدان صوابه!!

بعـد عـدة أيام جلس أمير كالعادة أمام غـادة وهو يمرر يده على وجهها بحب، متضرعًا إلى الله قائلًا: يا إلهي، أعدها إليَّ أرجوك..

وظل جالسًـا أمامها شـاردًا وهو محتضنًا كفهـا، وأغمض عينيه متذكـرًا نظراتهـا إليه وردود أفعالها، وشـعر بأصابعهـا ترتعش في يده. فتح عينيه بسـرعة وهو يدنو من وجهها هامسًـا: حبيبتي.. هل تسمعينني؟ أنا أمير..

تماسكي من أجلي.. لن أستطيع العيش بدونك.. أرجوكِ لا تتركيني..

فتحت عينيها ببطء وبدأت صورته بالاهتزاز والضبابية حتى اتضحت تمامًا وهمست: أمـــير.

قفز من مكانه واقترب منها أكثر وهو يحتضنها بقوة هاتفًا: حبيبتي.. حبيبتي.. هل أنتِ بخير؟

هزت رأسها مطمئنة إياه بضعف قائلة: أمـــير.

نظر إليها والسعادة تقفز من وجهه وهو يردد: حمدًا لله.. حمدًا لله..

قالت هامسة: اقترب..

دنا منها.. قالت له مازحة والابتسامة لا تفارق وجهها: هل أنا في الجنة؟

ضحك قائلًا: الجنة هي أن أكون قربك يا حبيبتي.

واحتضنها بقوة وهو يقبل جبينها ويربِّت على ظهرها بحب قائلًا: هل تعلمين ما هو أول أمر سنقوم به؟

نظرت إليه بتساؤل..

قال: سأتزوجك.

همست بضعف: أعشق جنونك.

قال مبتسمًا: رغم أننا بلا أية أوراق أو إثبات شخصية.

همست: وأنا موافقة على أى شيء يجمعنا.

اتسعت ابتسامته قائلًا: لن يفرقنا شيء مرةً أخرى.. كوني متأكدة.

همست بضعف:أمير، ماذا حدث؟

قال هامسًا بحب: سأخبرك بكل شيء، لكن ليس الآن، أجيبني أولًا: هل تقبلينني زوجًا لك؟

ردت بسعادة: بلا أية أوراق على حد قولك؟

قال بحب مازحًا: غادة، وهل الرابط الذي جمع بين روحينا يحتاج إلى أوراق؟!

حبيبتي سأتزوجك رسميًّا بمجرد أن تتعافَيْ تمامًا.

لكن الآن لا بد أن أرتبط بك كما ارتبط من قبلنا آدم وحواء.

ابتسمت قائلة: أمير، لا تتركني أرجوك.

احتضنها بحب قائلًا: لن أتركك ما حييت.

رددي خلفي: زوجتك نفسي.

رددت ببطء وهي تتطلع إلى عينيه بحب: زوجتك نفسي.

أكمل قائلًا: أنا غادة ابنة حواء وآدم.

رددت مبتسمة: أنا غادة ابنة حواء وآدم.

اتسعت ابتسامة أمير وهو يقول: وأنا قبلت زواجك.

ثـم نظـر إليها بحب وهو يطبـع قبلة على خدها قائـلًا: مبارك يا زوجتي.

همست قائلة: مبارك لنا يا حبيبي.

ثم تطلعت حولها لحظة ونظرت إليه متسائلة: حبيبي أين نحن؟ وماذا حدث؟ وكيف جئنا إلي هنا؟

نظر إليها بحب قائلًا: سـأخبرك بكل شـيء، لكن دعيني أطمئن عليكِ أولًا.

قالت ببساطة: أنا بخير.

قـال بحذر: أريـد أن أراكِ علـى قدميكِ من جديـد، وقتها فقط أوقن أنكِ أصبحتِ بخير وتعافيتِ.

قالت له وهي تهز قدميها: أنا بخير.. هل تشك بشيء؟

قال مبتسـمًا: يـا حبيبتي، لقـد أخبروني أنهم تأخـروا في نقلك وإسعافك؛ لذا نخشى أن يترك الحادث أثرًا ما.

قالت مبتسمة: وكيف سنتأكد من هذا الأمر؟

قال لها: بأن تقفي أمامي الآن..

قالـت وهـي تعتدل فـي جلسـتها بصعوبـة، وهـو يعاونها على تحريك قدميها: هيا، هل أنتِ مستعِدة؟

قالت مبتسمة: أنا قادرة على أي شيء ما دمت معي وبقربي.

ابتسم هامسًا: أحبك.

نظرت إليه بحب وتحاملت على نفسها وجاهدت تعب جسدها وآلامه، ووقفت على قدميها لحظة، وفجأة ترنحت بين يديه،

التقطها بين ذراعيه قائلًا بذعر: حبيبتي.. انتبهي..

نظرت إليه بضعف قائلة: أشعر بدوار..

ابتسم وهو يعيدها إلى السرير: حبيبتي، هل تعلمين منذ متى وأنتِ راقدة هكذا؟

- نظرت إليه بتساؤل..

قال ببساطة: منذ شهرين.. فمن الطبيعي أن تشعري بدوار إذا حاولتِ الوقوف مباشرة.. جسدك تعود على الوضع نائمًا وتأقلم على هذا الأمر.

قالت مبتسمة: نسيت أنك طبيب.

ثم تذكرت هاتفة بفزع: أمي!!!

أمي.. يا إلهي..

نظر إليها مشفقًا ثم قال: اطمئني سنقوم بزيارة لها، لكن لا بد أن تتعافي أولًا،

لن أخاطر بالإفصاح عن مكاننا في الوقت الراهن..

حدث الكثير من الأمور خلال الشهرين الماضيين.

ثم تابع بجدية قائلًا:

يـا حبيبتـي، لا بد مـن التروي قبـل التصرف، لا نريـد أن نلفت الانتباه وندخل في تحقيقات.

تلفتت حولها قائلة: أين نحن؟

همس: نحن لا نزال في الفيوم.. استضافنا أحد الفلاحين، وهو من أخرجنا من الجبل

ثم تلفـت حوله قائلًا: أخبرته أن اسـمي أحمد، وأنك زوجتي، وأننـا كنا مخطوفيـن من قِبل بعض اللصوص الذيـن طالبوا بفدية، وهم من أطلقوا علينا النار عندما لم يحصلوا على الأموال.

هزت رأسـها متفهمة. كانـت تتأمله وهو يتحـدث وكأنها تحفر ملامحـه فـي قلبها مـن جديد. اقتـرب منها وطبع قبلـة على خدها هامسًا: لماذا تنظرين إليَّ هكذا؟

قالت مبتسمة: اشتقت إليك.. أمير.. أحبك.

ابتسـم بسـعادة هامسًـا وهو يطبع قبلة أخرى علـى خدها: وأنا أعشقك يا حبيبتي.

■■■

وفي منزل غادة بالعباسية جلست هدى مع رقية قائلة: لا تقلقي يا خالتي، سنعثر عليها.

نظـرت إليها رقية بخوف وهي تقول: غادة تتألم، أشـعر بذلك، ابنتي في خطر!! أشعر بها.. قلبي يئن يا هدى..

قالت هدى بحزن: لا تقولي ذلك تفاءلي يا خالتي.

قالت رقية باكية: غادة ذهبت للأبد، فقدتها للمرة الثانية.

كنت أشعر أن مكروهًا سيحدث.

كنت أعلم أن هذه الرحلة لن تمر على خير، لكنني لم أستطع التفوه، لم أتحرك وأمنعها من الذهاب.

نظرت هدى إليها قائلة: مرتين؟؟؟ ماذا تعني يا خالتي؟

أثار تساؤل هدي ذكريات أليمة مرت بها رقية وشردت وهي تتذكر غادة منذ ما يقرب من عشر سنوات عندما كانت تجري تحقيقًا صحفيًّا عن أخطاء الأطباء، وكيف ذهبت إلى مستشفى الهدى بعد أن أخبرتها رقية أنها أجرت التلقيح الصناعي فيها، وأنه لولا وجود الدكتور مختار لما كان لها وجود. ذهبت غادة بدافع الفضول لتغطية موضوعها وسألت عن الدكتور مختار.. علمت أنه قد نقل إلى مستشفى آخر.

أرادت غادة التعرف عليه، وأن تذكره بنفسها وبظروف والدتها الصحية وأنها ثمرة إحدى عملياته التي أجراها في مستشفى الهدى قبل 28 عامًا؛ عندما توصلت إلى عنوان الطبيب كان قد نقل عمله إلى مستشفى جديد في مدينة نصر، وعندما ذهبت للقائه قابلت مساعده الشاب الذي ارتبطت معه بقصة حب، وقررا أن يرتبطا، لكن حدث أمر غامض، وأصيبت غادة بطلق ناري مميت، وتم نقلها إلى المستشفى لإجراء جراحة دقيقة واختفى حبيبها في

ظروف غامضة، وعندما استعادت وعيها لم تتذكر أي شيء خاص بالحادث؛ لذا قررت أخذها من المستشفى، لأنها شعرت أن خطرًا ما يحدق بها. وانتقلنا إلى بيت العائلة بالعباسية، ومن وقتها ونحن نعيش هناك ولم تذكر أي أمر خاص بهذا الحادث الغامض.

التفت رقية إلى هدى قائلة: موضوع قديم.. لا تدرين عنه أي شيء.. تعرضت لحادث من قبل أن تنضمي أنت لأسرة الجريدة.

هزت هدى رأسها متفهمة هاتفة: آه.

خالتي اطمئني لن يغمض لنا جفن إلا بعد أن تعود غادة إلينا.. أعدك بهذا.

أبلغنا شركة المحمول وسنتتبع الرقم.

قالت رقية باكية بيأس: لا فائدة.

نظرت إليها هدى وقالت مشفقة: أرجوكِ يا خالتي ادعي الله أن تعود وأن يحفظها.

سأتركك الآن وسأبلغك بكل جديد.

وداعًا..

جلست رقية على المقعد منهارة وهي تدعو الخالق أن يعيد إليها ابنتها الوحيدة.

■■■

فـي اليـوم التالي وقفـت هدى مـع وحيد أمـام مندوب شـركة المحمـول وهـو يعطيهما ورقـة مكتوب فيـه آخر مـكان رصد فيه الهاتف.

واتسـعت عيـن هـدى وهـي تفـض المسـتند وتقـرأه هاتفـة: الفيوم؟؟!!

مستحيل!!!

نظر إليها وحيد قائلًا: أظن من الأفضل أن نبلغ الشرطة بالأمر.

لم يعد أمامنا أية خيارات أخرى!!

نظرت إليه هدى قائلة بصدمة: يا إلهي؟؟ هل اختلقت أمر السفر بأكمله كى تذهب إلى هناك. تُرى، ما سر هذا المكان اللعين؟

قال وحيد بشغف: أريدك أن تطلعيني على الأمر بأكمله.

قصت له الأمر بالكامل وهو ينصت باهتمام لما تقول..

ثـم قال بحيرة: لا بد من زيارة هذا المكان؛ هناك أمر ما غامض متعلـق بهذا الجبـل، لا يعقل أن تختفي هكذا أمام أعيننا، لسـنا في غابة.

هل ألقيت نظرة على جهاز الكمبيوتر الخاص بها؟

قالت هدى: لا، لم أقترب منه.

قـام مـن مكانه وجلس علـى مكتب غـادة وفتح الجهـاز وأخذ يتصفح ملفاته المختلفة حتى وجد ملفًّا خاصًّا بالجبل.

نظرت إليه هدى بفضول قائلة: أرني ما به.. هيا افتحه.

ضغط على الملف فوجد صورًا عديدة للمكان من كل جانب.

وأوقف الصورة على فتحة الكهف قائلًا: ربما كان به عصابات واحتجزوها..

ثم تابع ملقيًا اللوم على هدى قائلًا:

كان لا بد أن تمنعيها يا هدى.

قالت هدى بخوف: أخفت عني الأمر تمامًا.

ثم انهارت مرددة: أنا السبب... أنا السبب..

نظر إليها قائلًا: كيف؟

- أنا من أخبرها عن هذا المكان اللعين.

- وكيف تعرفين بأمره؟

- أرسل لي شخصٌ ما خبرًا عنه على الإيميل.

- هل الرسالة لاتزال لديكِ؟

- أنا لا أحذف أية رسالة من رسائل بريدي في العادة، أفلتره مرة كل عام.

- ممتاز أريني الرسالة إذن.

قالت بضجر: سيستغرق بعض الوقت تعلم أن بريد القسم تصله رسائل كثيرة.

رد باهتمـام: حسـنًا.. خـذي وقتـك وأنا سـأقرأ ما كتبتـه غادة، وابحثي أنتِ عن الرسالة.

قالت هدى وهي تتصفح بريدها: اتفقنا.

وأخـذ يقرأ ملف الـورد الملحق بفولدر الجبل بانبهار ودهشـة مما يقرأ!

■■■

عاد محيي من عمله في الحقل بعد العصر.. استقبله أمير مبتسمًا وهو يخبره أن غادة استعادت وعيها، وأن الحادث - بفضل الله - لم يترك أي أثر جانبي عليها. سـعد محيي بهذا الخبر كثيرًا، وأخبر والدتـه بمجـرد أن رآهـا عائدة من زيـارة خاطفة لابنتهـا بالقاهرة. وجلس أمير مع غادة ومحيي وهم يتناولون الطعام مع أسرة محيي التي سعدت بعودتهما إلى الحياة بعد أن كانا في غيبوبة طويلة.

كان أميـر يتطلـع إلـى غادة وهو غيـر مصدق أنهـا تجلس أمامه وكانـت هي تنظر إليه بحب وسـعادة ولم يكـن يعكر صفو فرحتها إلا تذكرها أمها..والقلق المتسبب فيه غيابها عنها..

وفي المسـاء جلس أمير وهو يرتدي جلبابًا أبيض مع غادة التي ترتـدي جلابية فضافضة مشـجرة وهو يقول لهـا مازحًا: يروق لك هذا الزي.

قالت ضاحكة: وأنت يا حبيبي يليق بك كل زي.

اللهم إلا أنك تبدو شاحبًا وأنحف كثيرًا عما سبق.

قال لها مبتسمًا: سأسترد عافيتي مع الوقت.

قالت له مبتسمة: حبيبي ماذا سنفعل لمحيي وعائلته؟ لا بد أن نكافئهم؛ على أيديهم كُتب لنا عُمر جديد.

لولا جرأته وشجاعته لكنا أسرى هذا المكان الملعون. والله وحده يعلم ماذا كان سيحدث لنا؛ هل كنا سنحيا أم نموت؟

قال أمير: حبيبتي، فكرت كثيرًا أن أكافئهم، لكنك تعلمين أنني تركت كل شيء خلفي في الكهف. أنا بلا هوية من الأساس..

قالت بحزن: أعلم.. يا حبيبى أنا أيضًا بلا هوية وعلى الأرجح أنهم يتعاملون معي على أنني مفقودة.

قال بجدية: يمكنني أن أذهب وأتفقد المكان.

هتفت بجزع وذعر: لا.. أرجوك.

لن أسمح لك.

قال بهدوء: هدئي من روعك يا حبيبتي.

ردت بانزعاج:

لا..لا تذهب إلى هناك مرة أخرى. أرجوك.

صمت دون أن يعلق.

مما دعاها للقول: أمير.. انظر إليَّ.. عدني ألَّا تذهب إلى هناك أبدًا.

عدني ألَّا تفكر فيه من الأساس.

نظر إليها أمير لحظة محدثًا نفسه قائلًا: صعب يا حبيبتي!

هـذا المكان عشـت فيـه نصف عمـري إن لـم يكن أكثـر! هذا المكان شهد كل نجاحاتي حتى لو كانت النتيجة ما نحن فيه الآن..

انتزعته غادة من شروده وهي تقول: أمير.. لماذا لا ترد عليَّ؟

استدرك قائلًا: آسف.. ماذا كنتِ تقولين؟

حدقت به بغضب قائلة: أمير، تعلم فيما كنا نتحدث.

قال أمير بضيق: حسـنًا يـا حبيبتي.. أعـدك ألَّا أذهب إلى هناك مرة أخرى.

وبينه وبين نفسه ردد مكملًا في الوقت الحالي على الأقل، إنما بمجرد أن أتعافى تمامًا لابد من الذهاب إلى هناك.

تنهدت غادة براحة وهي تحتضن كفيه بيديها: حبيبي تعلم أنني أخاف عليك.

هز رأسه هامسًا: أعلم.. أعلم.

■■■

بعد عدة أيام، وبعد أن تقدم زملاء غادة ببلاغ رسـمي للشـرطة مرفق به مستند شركة المحمول الذي أثبت أنها مفقودة في محافظة الفيوم بعد أن تتبعته شركة المحمول،

قابـل وحيد النقيـب ضرغام صديقه الشـخصي الذي يسـاعده فـي مـده بالأخبار الخاصة بقسـم الحوادث، طبعًا بعد أن يشـيد به

وبدوره في كشف ألغاز الجرائم وإبراز اسمه بصورة واضحة ونشر صورته مع التحقيق أو الخبر الذي يمده بتفاصيله. دعاه النقيب ضرغام إلى مكتبه وانفرد به قائلًا: سأطلعك على أمر ليس للنشر، وله علاقة باختفاء صديقتك.

نظر إليه وحيد باهتمام وفضول.

أكمل ضرغام قائلًا: أرسلت أستسفر عن الأمر من صديق قديم لي، كنا زملاء في الكلية معًا. أخبرني أنه في نفس توقيت اختفاء صديقتكم تقريبًا حدثت أمور رهيبة ومفزعة في حدود المنطقة التي تحدثني عنها!!!

نظر إليه وحيد وقال بتساؤل: كيف؟

قال ضرغام: انفجارات ضخمة داخل الجبل وانهيارات أرضية وتساقط أحجار ضخمة على المكان، وأصوات صراخ وناس تتألم وكأنه الجحيم بعينه.

قال وحيد بفضول: هذا أمر مخيف بالفعل.

قال ضرغام وهو يضع رجلًا على أخرى ويشعل سيجارته: والأغرب أنه تم إرسال حملة من قوة القسم إلى المكان هناك وتم قتل جميع أفرادها بعد تعرضهم لإطلاق نار كثيف والإصابات كلها في الرأس.

القيادات طلبت التقصي والاهتمام بهذا الأمر، بعد مراقبة جيدة للمكان، ثبت للجميع بالفعل أن المكان مهجور، ولا يوجد به أي شخص على قيد الحياة، حتى حيوان ضال لا يوجد!!!

حك وحيد ذقنه مفكرًا وهتف قائلًا: وماذا تعتقد أنت؟ ما تفسيرك للأمر؟؟

قال ضرغام: على الأرجح أن المكان به بعض مهربي السلاح؛ كانوا يسكنون به وحدث أمر ما أدى إلى هذه الانفجارات وعندما لفتت الانفجارات الانتباه إليهم قتلوا رجال الشرطة وهربوا. تعلم أن أغلب سكان الجبال يحفظون دروبه عن ظهر قلب وهو ما ثبت بالدليل القاطع بعد تحريات ومراقبة رجال الأمن للمكان عن كثب لفترة لا بأس بها..

قال وحيد: تفسير مقنع بالفعل.. أتفق معك بلا شك.

■■■

جلست هدى مع والدة غادة قائلة: يا خالتي اقتربنا كثيرًا من تحديد مكان غادة الشرطة تعمل بكل طاقتها والدنيا مقلوبة رأسًا على عقب.

نظرت إليها رقية بصمت وهي تجفف دموعها وإحدى الجارات تجلس معهما قائلة: حاولت أن أهدئها، ولكن فشلت.

نظرت هدى إلي رقية وقالت: معذورة.. الله يعينها على ابتلائها؛ ليس سهلًا ما تشعر به!!!

كانت هدى تزور رقية بانتظام كل يوم، وكانت زيارتها إلى رقية تخفف من شعورها بتأنيب الضمير؛ لأنها كانت تلوم نفسها دائمًا؛ لأنها السبب في كل ما حدث.

وفي مقر الجريدة قالت هدي موجهها حديثها لـ(وحيد)

- كيف سارت الأمور مع صديقك الشرطي؟؟؟

أجاب باقتضاب: هذا الكلام ليس للنشر، أخبرني أن تحريات الشرطة انتهت إلى رصد أصوات انفجارات ضخمة أبلغ عنها أهالي قرية الجواهرجي الملاصقة للجبل وأن عناصر من قوات الشرطة لقوا مصرعهم بعد أن توجهوا إلى المكان.

وهنا قال وحيد: هذا يثبت أن المكان ليس مسكونًا، وأن هناك سرًّا ما..

أتريدين رأيي الشخصي؟

نظرت إليه بتساؤل؛ أكمل قائلًا:

لا بد أن نزور المنطقة..!!

اتسعت عين هدى بفزع هاتفة: لاااا.. مستحيل!! لن نكرر نفس الغلطة.

قال وحيد بحزم: لا تقلقي، لست متهورًا كي ألقي بنفسي في التهلكة.

قالـت هدى بهلـع: غادة كانت تقول نفس الكلام، ولـم تسـتطع التحكـم في فضولها، هـذا المكان ملعون، إنه يجـذب الأفراد إليه ثم يبتلعهم..!!

ضحك وحيد قائلًا: تبالغين قليلًا..

عمومًـا لا بد مـن زيارة المـكان حتى نرضي ضميرنـا... أليس كذلك؟

هزت هدى رأسـها غير مقتنعة بما يقـول، وأصدر رئيس تحرير الجريـدة أوامره بالتقصـي عن الأمر ومتابعـة التحقيقات في قضية اختفاء غادة

وذهـب وحيـد لقرية الجواهرجـي وجلس على أحـد المقاهي وهو يسأل عن قصة هذا الجبل.

قـال أحد الـرواد بفزع هـذا الجبـل الملعون مسـكون بالجان، ومنذ عدة أسابيع قليلة ثار وكأنه يحوي بركانًا ثائرًا ويغلي بداخله، سمعنا أصوات فرقعة أصابت أهلنا وسكان المنطقة بالفزع، وأدت الانفجـارات الضخمة إلى حـدوث هزات أرضيـة متتابعة أضرت بالعديـد من البيوت القديمة مسـببة تصدعات كبيـرة بها؛ ودائمًا ما يأتي الصحفيون للسؤال والتقصي عنه وعن سره.

■■■

وعلى جانب آخر توصلت تحريات رجال الشـرطة إلى أن أحد المواطنين اسـتطاع التسلل لمنطقة الجبل وعثر على شخصين كانا

يتعالجان في مستشفى الفيوم التعليمي وأن حالتهما كانت خطيرة، وقادتهم التحريات إلى بيت محيي. اتصل ضرغام بوحيد وأخبره بأمر هذين الشخصين.

قررت هدى ووحيد أن يزورا بيت محيي، ربما أرشدهم هؤلاء عن مكان غادة

وبتتبع أرقام سيارة غادة عثر رجال الشرطة عليها مع أحد لصوص السيارات المشهورين في المنطقة الذي اعترف بتفكيك السيارة وبيعها كقطع غيار، واعترف أيضًا أنه عثر على السيارة بالقرب من منطقة المقابر المتاخمة لجبل الأساطير.

وبتتبع الهاتف عثر عليه مع أحد الباعة الجائلين الذي أخبرهم أنه اشتراه من سوق التليفونات المستعمل.

و تأكدت ظنونهم أن غادة ذهبت إلى الجبل، كانت كل الدلائل تقودهم إلى هذا الاحتمال، وبات الأمر يسيرًا على رجال الأمن الذين لم يهدأ لهم بال، وظلت مراقبتهم للمكان دقيقة، والتي - رغم ذلك - لم تقدهم لأي جديد.

وتوصلت هدى ووحيد إلى عنوان محيي بسهولة؛ لأنه وقع على تعهد باستلام الشخصين وتعهد برعايتهما وهو على علم بخطورة حالتهما، وعلوا أنه رفض تسليم هذين الشخصين لإحدى المصحات العلاجية الخيرية لاستضافتهما و متابعة

وضعهما الصحي، وأصر على استضافتهما متحملًا كل المسئولية القانونية والجنائية..

■■■

وفي منزل محيي؛ وفي أثناء عدم وجوده بالصدفة البحتة، جلس وحيد مع والد محيي قائلًا: سيدي نحن صحفيان ونريد أن نأخذ منك بعض المعلومات الخاصة بحادثة الجبل المشهورة التي وقعت منذ عدة أسابيع.

نظر إليهم والد محيي بشك وريبة ثم قال: ماذا تريدان؟

قالت هدى: نريد رؤية الشخصين اللذين تستضيفهما في منزلك.

قال والد محيي: لقد غادرا المكان للأسف.

حدقت به هدى قائلة: ماذا غادرا؟؟؟

ألم يخبراك عما حدث هناك؟

قال بهدوء: أخبراني بالطبع.

قال وحيد: بماذا أخبراك؟

قال والد محيي: أخبراني أن عصابة اختطفتهما وطلبت فدية من أهلهما وعندما لم يحصلوا على المال أطلقوا عليهما الرصاص..

نظرت إليه هدى بانتظار أن يكمل، حدق بهما والد محيي ببساطة دون أن يضيف أي كلمة..

قالت هدى: فقط.

قال والد محيي ببساطة: فقط.

قال وحيد بحذر: من يكونان؟ من أين أتيا؟ كيف كان شكلهما؟

قال والد محيي بضيق: شخصان عاديان؛ شاب ضخم الجثة، رياضي الجسم، أشبه بنجوم السينما، وزوجته عادية لا شيء مميز فيها.

قال وحيد: ألم يتصلا بذويهما؟

قال والد محيي: أتى شخص واصطحبهما إلى منزله.

وشددا علينا ألَّا نخبر أحدًا بأي تفاصيل تخصهما، يكفيهما ما مرا به. قال وحيد وهو يقف: أشكرك.

وفي سيارته قال لهدى: ما رأيك؟

قالت ببساطة: أشعر أنه يكذب.

قال وحيد: أنا أيضًا أشعر بذلك.

قالت له: المشكلة أن أهالي هذه القرية يعرف بعضهم بعضًا.. من الصعب أن نزرع بينهم أي فرد ينقل أخبارهم أو أن نستميل أي أحد منهم لإطلاعنا على حقيقة ما جرى.

قال وحيد: رجال الأمن توصلوا إلى نفس ما توصلنا إليه تقريبًا! أمر غريب بالفعل! هل هذه النهاية هي فعلًا؟!

كان والد محيي ينفذ طلب ولده بعدم الإفصاح عن أية معلومات خاصة بضيفيهما؛ لأنهما لم يزالا بين يدي الخالق ولا يعلم سر وجودهما إلا الله وحده..

وطلب من والده أن يصرف نظر أي سائل عنهما بنفس الكلام الذي كرره على الصحفيين منذ قليل.

كان والده مقتنعًا بكلام وحجة ابنه؛ لذا كان يكرر نفس الكلام على كل سائل مهما كان.. سواء أكان من الغرباء أم من سكان المنطقة أم من أهل القرية..

يعتبر محيي ووالده الغرباء أمانة في أعناقهما وجبت حمايتهم حتى يستطيعوا هم الدفاع عن أنفسهم والإجابة عن كل التساؤلات التي تشغل الأذهان...

■ ■ ■

استغرقت تحريات الشرطة وأصدقاء غادة تقريبًا الشهرين.

كان محيي متفقًا مع والديه على عدم الإفصاح عن أية أخبار تخص من أنقذوهم خوفًا من تتبع رجال العصابة لهما على حسب ما أقنع أهله به، وعلى حسب قناعاته الشخصية أيضًا.

كان يعلم أنه فور تسرب خبر استعادتهما وعيهما لأهل القرية ستنقلب الدنيا بحثًا وتحقيقًا، ولن تسكت الصحافة، وهو أمر حاول تجنبه كثيرًا طوال الفترة الماضية واستعد له جيدًا.

كان مبرره لذلك أن ما قام به كان بدافع المروءة، وأن أي أحد غيره كان سيهرع لاستخراجهما لو رآهما قبله.

لم يرَ فيما قام به أي عمل بطولي، بل عمل إنساني بالدرجة الأولى، وكان يحترم خصوصية ضيوفه " أمير وغادة "

لأن هيئتهما تدل على أنهما شخصان عاديان، ولم يشك بهما قط، بل اعتبرهما جزءًا من العائلة بالفعل.

■■■

كان أمير وغادة قد اعتادا عدم الخروج من الشقة التي يقيمان بها، وكانا يستريحان لقرار محيي بالتخفي وعدم التسرع بالإفصاح عن التصريح بوضعهما الصحي الآن، وأنهما استردا عافيتهما.

كان شغل أمير الشاغل الكهف وحجم الضرر الذي لحق به وكيف انهار بالكامل كما أخبره محيي، وكيف تم إطلاق نار على رجال الشرطة كما أخبره محيي أيضًا، خاصة بعد انهيار المكان وفق رواية محيي له، وأيقن أن هذا ليس له تفسير آخر غير أن بعض الجنود لا يزالون على قيد الحياة..

كانت أكبر مخاوفه أن يكونوا من «جنود الفئة ج»..!!

أما غادة فكان كل همها والدتها وكيف تقبلت أمر اختفائها، وكيف ستبرر لها أين كانت ومن أمير وكيف قابلته، وكيف قابلت الجنرال، وهل ستتقبل أمها بصدر رحب وعقل راجح ما حدث معها أم سيتحول الأمر معها إلى (فوبيا) من نوع خاص؛ خاصة

أن والدتها دائمة القلق، وغادة طموحة وتعشق عملها بكل ذرة في كيانها..

وكان محيي قلقًا من المساءلة القانونية؛ لأنه أخفى عن جهات التحقيق معلومات مهمة وخطيرة، ولأنه ورط أسرته في هذا الأمر بحسن نية..

ووالد محيي كان يشعر بالخوف ظنًّا أن العصابة التي تسكن الجبل سوف تصل إلى بيتهم بسهولة وتقتل من فيه حتى لا تترك دليلًا يقود رجال الشرطة إليهم!!!

أما هدى فإن الفضول وتأنيب الضمير يقتلانها قتلًا؛ لأنها كانت السبب في هذا الأمر بأكمله.

وأما وحيد فإن حالته لا تقل تخبطًا عن البقية.. سيطر عليه الشغف والفضول اللذان جعلاه يحترق احتراقًا، وتمنى أن لو كان هو مكان غادة؛ حتى يعلم سر هذا المكان الغامض.

بعدما علمت والدة غادة بمستجدات الأمور شعرت ببارقة أمل، وأيقنت أن غادة في مكان ما.. فتشت في أغراضها، عثرت على الصور التي صورتها للجبل وكلماتها التي خطتها على كل صورة، وكل ملحوظة دونتها خاصة بهذا المكان.. انتابها شعور غامض.. أنها سترى ابنتها مرة ثانية!!!

وبدأت حالتها في التحسن تدريجيًّا، وهي تطمئن نفسها أن ابنتها ستعود قريبًا. كانت تتمنى أن تعود غادة إليها، حتى لو كانت

نسـخة مكررة من ابنتها، فاقدة الذاكرة كما حدث في السابق.. هي متقبلة الأمر، المهم أن تراها أمامها كسابق عهدها.. وارتاحت لهذا الخاطر كثيرًا...

■■■

وقررت غادة أن تجري اتصالًا بأمها من هاتف محيي المحمول:

اتصلت بها وجاءها صوت والدتها الحزين قائلًا: ألو.. مرحبًا..

صمتت غادة وقلبها يدق بعنف وبأصابع مرتعدة منفعلة.. ظلت صامتة..

كررت والدتها قائلة بحذر: ألو... من معي؟

كانت رقية تستمع إلى أصوات أنفاس متلاحقة..

قالت رقية فجأة: غادة..

نظرت غادة إلى الهاتف بدهشة شديدة.. وأغلقت الخط!!

نظـرت والدتها إلـى الهاتف بسـعادة قائلة لجارتها: أشـعر أنها غادة !!

نظـرت إليهـا جارتهـا بشـفقة، وهـي (تمصمـص) شـفتيها: مسـكينة!! جنت!! لـم تقتنع أن ابنتها مفقودة منذ أشـهر!! ومحال أن تكون على قيد الحياة!!

واحتمال كبير أن تكون ميتة، كما أخبرتهم الشرطة!!

قال أمير لغادة: حبيبتي، لا بد أن نفكر كيف سنغادر؟ وإلى أين؟ وكيف...؟ لن نظل هنا للأبد، ولن نتخفي للأبد أيضًا.

قالـت بضيق: أتصدقنـي إذا أخبرتـك أنني أشـعر بطمأنينة وأنا هنا؟!

كأن وجـودي بالقـرب مـن الكهف يشـعرني بأننـي لا أزال في بيتي.

ضحك أمير: أصدقكك.. أنا مثلك!! هذا المكان سـاحر، لكن لا بد من التفكير الجدي.. ماذا سنفعل بعد ذلك؟

لا بـد من التخطيـط لكل أمر بدقـة..لا نريد أن نسـبب أي أذى لمن خاطروا باستضافتنا..

قالت غادة: يمكنني التنقل بسهولة منتقبة.

قال بضيق: أعلم.. لكن وجهتنا يا حبيبتي.. نتجه إلى أين...؟ والدتك تعتقـد أنك ميتة لا محالة، وليس من الصواب ظهورك فجـأة هكذا، وفي نفس الوقت لا نملك أيـة خيارات أخرى؛ نحن بـلا أي إثبات شـخصية، وبلا نقود، وبلا عمـل، والصحافة تبحث عنا، والشرطة تتقصى أخبارنا.

وأنا وضعي دقيق لا أريد الكشـف عن سـر الجبل ولن أكشـف عنه. أفضل الموت ألف مرة على التفوه بكلمة.

قالت غادة متفهمة: الوضع مربك بالفعل.

قالت غـادة بعد تفكير عميق: حبيبي يمكنني أن أذهب إلى أمي منتقبـة، وأن أعـود بالنقود، وأن أسـتخرج لك ولـي أوراق تحقيق شخصية جديدة، لنا طرقنا نحن معشر الصحفيات..

قال أمير بضيق: وأنا.. ماذا سأفعل؟

هل أظل حبيس هذا المنزل؟

قالـت غادة: ليس أمامنا حل آخر مؤقتًـا على الأقل، حتى أعود بتحقيق شخصية.. ووقتها يمكننا التحرك بحرية بلا أي تردد، ودون خوف من أن يستوقفنا أي رجل شرطة في أي لجنة في الطريق.

قال أمير بضيق: أشعر أن يدي وقدمي مكبلتان.

قالت له مازحة: أتدري..؟ أنا سعيدة لهذا الوضع!

نظر إليها بتساؤل: لماذا؟!

قالـت مبتسـمة: لأنـك إذا خرجت يـا حبيبي قد تقابـل من هي أجمـل منـي، وقد تقع فـي حبها.. أريـدك أن تظل حبيـس المكان هكذا، لا ترى أحدًا غيري.

ضحـك وهو يضمها إليه قائلًا: يا حبيبتي، أنا بالفعل لا أرى إلا أنت، اطمئني.

قالت ضاحكة: يا حبيبي، عندما افترقنا منذ عدة سـنوات ظللت أنـت حبيـس الجبـل ولا تتعامـل إلا مع رجالـك؛ وهـذا كان قمة الطمأنينة. وقد اختلف الوضع تمامًا.. الآن أنت حر.. طليق..

قال مبتسمًا: حبيبتي، أنا لم أكن حبيس المكان كما تقولين؛ فقد كنت أتجول بالقرب من المكان؛ هل نسيتِ أننا تقابلنا أسفل الجبل مرة، وبالطبع لم يقتصر الأمر على هذه المرة فقط..

ضحكت قائلة وهي تتطلع لعينيه البنيتين العميقتين: أمير.. أحبك..

أغار عليك..

قال مبتسمًا: وأنا أعشقك يا حبيبتي..

أتدرين..؟ بمجرد أن نستخرج أوراق تحقيق شخصية؛ سأتزوجك فورًا.

قالت له هامسة: أنا زوجتك بالفعل!! هل نسيت؟

همس في أذنها قائلًا: أريدِ أكثر من وعد يا حبيبتي.

شعرت بالخجل وهي تقول له: أمير.. أريد أن أنجب أطفالًا كثيرة.

قال لها وهو يقبل رأسها: سيحدث يا حبيبتي.. سيحدث إن شاء الله.

■■■

في اليوم التالي جلس أمير مع محيي وهو يخبره أن زوجته ستذهب إلى بيت العائلة كي تجلب بعض الأغراض؛ استعدادًا

لمغادرة القرية، ولاستخراج أوراق شخصية جديدة؛ لأن كل أوراقهما فقدت منذ تم اختطافهما.

شعر محيي بالراحة لقرارهما؛ لأنهما على كل حال كانا سيغادران في يوم ما.

تفهم محيي الوضع، وأحضر لها ملابس منتقة، واتفق مع سيارة أجرة تصحبهما إلى القاهرة.

وسافرت غادة برفقة محيي مغادرة المكان متجهة إلى محافظة القاهرة. وبعد عدة ساعات، وبمجرد أن دخلوا حي العباسية خفق قلبها بقوة وهي تردد: أعنِّي يا إلهي..

مرت السيارة من الشارع الذي يقع فيه بيتها ودقات قلبها صارت أعلى من أبواق السيارات المارة بالشارع، وبعد لحظات وقفت أمام مدخل بيتها، وقدماها ترتعدان بقوة وصعدت السلم بتروٍّ وتردد، وهي تتخيل وقع المفاجأة على والدتها المريضة وتشعر بالخوف.. بعد قليل وقفت أمام باب شقتها هي ومحيي، قال محيي بارتباك: سأتركك مع الوالدة قليلًا.. لا بد أن لديكِ الكثير لتقصيه عليها.. سأمر عليكِ بعد العصر.

قالت غادة: لا، انتظر.. لا بد أن تتعرف على الوالدة.

أصر أن يغادر مازحًا وهو يقول: مهمتي تنتهي هنا..

وعدها أن يعود بعد العصر كي يتنالوا الغداء معًا، بعد إلحاح منها.

وضغطـت على جـرس الباب، وقفت تنتظر ودقـات قلبها تزيد مع كل ثانية تمر،

فتحت أمها الباب وهي تقول: من؟

توقفـت والدتهـا لحظـة متفاجئـة، وهـي تـرى هـذه المنتقبـة الغامضة؟؟

في حين مرت على غادة هذه اللحظة بصعوبة، بل خُيِّل إليها أن الزمـن توقف للحظات.. ظلت متجمدة مكانها وهي تتأمل ملامح أمها المهمومة والتجاعيد التي تحيط بعينيها، والسواد الذي يحيط بعينيهـا الحزينتين، والدموع المتحجرة في مقلتيها، وإلى ملابسـها السوداء التي تتشح بها وأقبلت عليها غادة هامسة: أمي.

واحتضنتها بقوة.

تجمدت رقية في مكانها غير مصدقة ما تسـمع.. ثم ما لبثت أن استوعبت الأمر..

اتسعت عينا أمها هاتفة بفرح: حبيبتي.. حبيبتي..

قالت غادة هامسة:أمي، هل معك أحد؟

نظرت أمها إليها قائلة: لا..

وأغلقت الباب خلفها.

جلست غادة أمام أمها وهي تكشف وجهها قائلة: أمي، افتقدتك كثيرًا.

احتضنتهـا أمها بقـوة وهي تتأمـل ملامح ابنتها، ومـررت يدها على وجهها بحب قائلة: هل أنت حقيقة؟

أنا لا أحلم.. أليس كذلك؟

ترقرت الدموع في عيني غادة وهي تقبلها قائلة: أنا هنا يا أمي.. افتقدتك.. افتقدتك كثيرًا.

قالت أمها باكية: كنت أعلم أن الله لن يخذلني، وأنك ستعودين لي.

ثم استدركت بجدية قائلة: أين كنتِ؟ ولماذا تلبيسن هكذا؟

ولماذا لم تتصلي بي؟

نظرت إليها غادة بشوق قائلة: سأخبرك بكل شيء يا أمى..

كل شيء.

قصـت عليهـا كل ما حـدث منـذ أن علمـت بأمر الجبـل وبدء تحرياتها عنه وانتهاءًا بمقابلة هتان.

اتسعت عينا أمها وهي تضمها إليها هاتفة: المجرم !!

وأخذت تتفحص جسد ابنتها هاتفة وهي تمرر يدها على مكان طلقـة الرصاص التي أصابتها في صدرها وهي تتألم قائلة: كل هذا يا حبيبتي!!

تعرضـتِ لـكل هـذا !! أنـا المخطئة لـم يكن يجدر بـي تركك تذهبين !!

قالت غـادة وهي ترتمي في حضن والدتهـا: أمي، أحتاج إليك بشدة.. لاتتركيني.

قالت رقية: لن أتركك مرة أخرى لن أسمح بتكرار ما حدث.

قالـت غـادة بتـردد: لكـن يا أمـي أمير ينتظـر عودتـي، لا بد أن تسـاعدينا نحن بلا أموال وبلا أية أوراق رسمية لا نستطيع التحرك قيد أنملة.

قالت رقية بحسـم: لن أتـركك مرة ثانية.. سـأذهب معك أينما ذهبـتِ، وأول مـا نفعلـه هو أن تحضـري أمير إلى هنا، وأن تعيشـا معي.

قالـت غادة: يـا رورو، يا حبيتـى، أنا لـم أخطط لـكل هذا، لكن أجمـل مـا فـي الأمـر أننـي سـأكون معـك ومعـه. أكثر شـخصين أعشقهما في هذه الحياة.

قالت رقية وهي تتأمل ملامح ابنتها بجدية: هل تحبينه يا غادة؟

نظـرت إليها غادة ولمعت عيناها وهـي تتحدث بحماس: أحبه فقط ؟!! لا يا أمي.. أنا

أعشقه..لـم أكن أتخيل أننى سأحب هكذا. اكتشفت أنني أتنفس حبه يا أمي.

قالت رقية: هل تعلمين أن حبكما هو من أنقذ حياتكما أكثر من مرة؟ تزوجيه يا غادة.

قالت غادة بسعادة: اتفقنا على هذا بالفعل.

ضحكت رقية وهي تحتضنها غير مصدقة: ما زلت غير مصدقة. أشعر أنني في حلم.

قالت غادة وهي تضغط على حروف كلماتها: أمي.. هل تعلمين أن هتان هو أبي؟

هتفت رقية باستنكار: لا.. مستحيل!!

قالت غادة بأسف: هتان هو الدكتور مختار يا أمي!!

لقد أبدل بالعينة التي قدمتِها له عينة منه، وكان يأمل أن يجدني أول مرة كي يعيد استنساخي كما يقول.

قالت والدتها متذكرة: وقتها شعرت أنا بالخطر وأخذتك وهربت.

لم يعثر علينا وقتها.

قالت غادة: لماذا هربتِ يا أمي؟ هل هددك؟

قالت رقية متذكرة: لا.. أنا خرجت لإحضار طعام من خارج المستشفى، وقبل أن أبتعد عن المستشفى اتصلت بي إحدى الممرضات تخبرني أن والدك يريد أن ينقلك إلى مستشفى آخر؟

والدك كان يعمل في البحر الأحمر في نفس التوقيت لحسن الحظ..

هرعت إلى داخل المستشفى.. وجدته قد هرب.. بحثوا عنه في كل مكان فلم يعثروا له على أثر، حتى كاميرات استقبال المستشفى

لم تسـجل خروجه ولا دخوله المستشفى. عندما سألتها عن شكل هذا المدعي وصفته لي لكني لم أتذكره.

وقتها أيقنت أن هناك خطرًا عليكِ وأخذتك وهربت.

لكن المهم الآن دعكِ من كل ما سبق.. سنبدأ معًا من جديد..

أنا وأنت وأمير. بعيدًا عن كل هذا نسافر خارج مصر.

قالت غادة ضاحكة: لا يا أمي، لن نغادر مصر، نحن خلقنا هنا، وسنموت هنا.

قالـت والدتهـا: حسـنًا.. أولًا نخـرج لكـم الأوراق. ثـم لـكل حادث حديث.

قالـت غـادة ضاحكـة: أريـد أن آكل يـا رورو، أتضـور جوعًا، اشتقت إلى طعامك.

قالت رقية: حبيبتي، لحظات و سأعد لكِ الطعام.

قالت غادة: سأبدل ملابسي واستحم.

ذهبت أمها إلى المطبخ.. وقفت غادة تتأمل الشـقة بشوق وهي تقول: ما أجمل العودة إلى البيت!!

بعد العصر انضم إليهم محيي.

رحبـت به رقيـة وهي تقول لـه: أدين لـك بحياتي يـا ابني، لقد أعدت لي حياتي.

نظر إليها محيي بخجل قائلًا: لا تقولي هذا يا خالتي. هذا واجبي.

أمطرته بوابل من الأدعية.

■ ■ ■

باتت رقية ليلتها سهرانة تتأمل غادة النائمة بجوارها وهي غير مستوعبة كل ما حدث.

وفي اليوم التالي جلست غادة تتناول الإفطار مع والدتها في المطبخ قائلة: أمي كيف نكافئ محيي وعائلته؟

قالت رقية وهي تضع الأطباق الفارغة في الحوض: لست أدري.

لا نستطيع إعطاءهم مالًا؛ فإنها تعد إهانة كبيرة لكرامتهم.

قالت غادة بعد تفكير: ليس أمامنا إلا أمر واحد.

هو أن ننشئ مشروعًا ما، ونترك إدارته بعائده لهم.

قالت والدتها: فكرة ممتازة!! لكن ما هو المشروع؟

قالت غادة بعد تفكير لحظة: بما أنني زرت المنطقة من قبل، فقد لفت نظري في أثناء مجيئنا إلى هنا أن القرية تفتقر إلى محلات البقالة الكبرى، مثل مترو.

هل تعتقدين أن محل بقالة متوسط الحجم كافٍ؟

قالت رقية: يا حبيبتي، لو أعطيتهم كل ما أملك فلن أتأخر.

قالت غادة: أعلم يا أمي.. أعلم.

قالت رقية: أنا أرى أنه مشروع لا بأس به.

قالت غادة: يمكنني إقناع محيي بأننا سنشتري أحد محلات بيته. علمت من والده أنه يخصص الدور الأرضي للمحلات.

قالت رقية: حسنًا.. وكيف سندبر أمر السلع التي سيبيعها؟

قالت غادة: أمرها يسير يا أمي.. لا تشغلي بالِك.

كانت غادة تتصل بأمير على هاتف محيي كلما شعرت أنها تفتقده، خصوصًا بعد العصر؛ لأنها تعلم أن محيي سيكون برفقة أمير أو على الأقل في المنزل في هذا التوقيت. أخبرت غادة أمير بفكرة السوبر ماركت الذي تعتزم إقامته مشاركةً مع محيي.

شعر أمير براحة كبيرة بعدما أخبرته بفكرتها وأيدها بشدة؛ لأنه يدين لهؤلاء بحياته،

ومهما قدم لهم فلن يستطيع أن يرد ولو جزءًا ضئيلًا من أفضالهم تجاهه وتجاه حبيبته.

بعد مرور عدة أيام تمكنت غادة من استخراج بطاقة لها واستأجرت سيارة وذهبت مع أمها إلى الفيوم.

وفي بيت محيي احتضنها أمير بحب قائلًا: كنت سأجن.. لماذا تأخرتِ؟

ضحكت غادة قائلة: سامحني يا حبيبي، استغرق إعداد بعض الأمور وقتًا.

صافح رقية باحترام قائلًا: سيدتي.

قالت غادة مازحة: حماتك.

ضحك وهو ينظر إلى رقية قائلًا: أنا أحب غادة وأريد أن أتزوجها.

ضحكت رقية قائلة: وأنا أوافق.

ضحكت غادة مازحة: وأنا أعترض.

مازحها أمير قائلًا: وأنا لا أقبل أي أعتراض.

نظرت إليه بحب هامسة: اشتقت إليك.

تأمل ملامحها قائلًا: ما هذا؟

ماذا فعلت لك أمك حتى أصبحت بهذا الجمال والإشراق؟

قالت رقية ضاحكة وهي تهمس ببساطة: أطعمتها.

قال ممازحًا إياها: يبدو أنني سأعسكر لديكما.

قالت رقية ضاحكة: لن أترككما.

انسا هذا الأمر.. تزوجا معي في البيت..

ثم انفردت بأمير متسائلة: هل ما زال هتان أو دكتور مختار على قيد الحياة؟

أكد لها أنه لا يعلم.

قالت له: أتدري إنني لا أتذكر ملامحه.. قابلته منذ ما يزيد على الـ(28) عامًا في المستشفى. كان لا يزال طبيبًا مبتدئًا.. وكانت

عمليات التلقيح الصناعي في بداياتها في مصر لم تكن بكفاءتها هذه الأيام.

رد أمير بجدية قائلًا:

السؤال يا رقية: لماذا اختارك أنت كي يبدل العينة معك؟

هل رقتِ له عندما رآكِ؟ أم إنه كرر فعلته مع كل المترددات على المستشفى وقتها؟

نظرت إليه رقية بحيرة قائلة: لست أدري.. لم أفكر في هذا الأمر من قبل.

قال أمير: ولا تفكري كثيرًا.

لا شيء يظل غامضًا إلى الأبد!!

نظرت إليه رقية قائلة: أنت محق... لن يظل سر للأبد.

■■■

بعد قليل جلست رقية تتناول الغداء مع أسرة محيي، وهي تقول بامتنان: أشكركم لأنكم استضفتوا ابنتي وزوجها ولم تتخلوا عنهما، أدين لكم بحياتي.

نظرت إليها أم محيي قائلة: لا تقولي هذا الكلام.. نحن لم نقم إلا بما أملاه علينا ضميرنا.

رفض محيي ووالدته قبول أية هدية من رقية، ورفضوا رفضًا باتًّا إعطاءها مالًا لحفيدهم الذي كان في زيارة لهم في هذا التوقيت.

رفض محيي ووالده وهما يقولان بعزة نفس: يا مدام رقية، هذه إهانة لنا.. ثم إننا لم نقم إلا بالواجب؛ هذه عادتنا وتقاليدنا يا سيدتي.

قالت رقية بخجل: ونحن من عادتنا عند رؤية طفل لأول مرة أن نعطيه أي مبلغ رمزي.

قال محيي بامتنان: وهل تعتبرين هذا مبلغًا رمزيًّا يا سيدتي؟؟

تبادلت رقية نظرة مع أمير وغادة، وأعادت النقود لحقيبتها قائلة لهم: حسنًا.. أنا أعتذر.

قال محيي بخجل: العفو يا سيدتي، لا أقصد أن أضايقك.

قالت غادة محاولة تغيير الموضوع: هل أخبرك أمير زوجي عن مشروع السوبر ماركت.

يقال: إنه مشروع مربح.

قال محيي: أعلم.. لكنني حاليًّا أركز في إتمام زيجتي فقط.

قالت غادة: ونحن لا نريد منك إلا أمرًا واحدًا، وهو شراء أحد المحلات.

قال محيي بسعادة: حقًّا!!

قال والده وهو يتنفس الصعداء: حمدًا لله.. حمدًا لله..

فهم أمير من الحديث مع محيي أنهم يمرون بضائقة مالية، ولا يريدون أن يلفتوا الأنظار إلى هذا الأمر.

واتفق الجميع على أن يشتروا المحل باسم غادة.

وبعد عدة أيام خرجت غادة مع محيي وتوجها إلى الشهر العقاري، وتسلمت عقد البيع، وتسلم محيي ثمن المحل نقدًا وعدًّا.

وبعد الانتهاء من إعداد المحل وتجهيزه والاتفاق مع التجار على توريد السلع للمحل بانتظام وافتتاحه، غادر أمير وغادة ورقية المحافظة، مع وعد بأنهم سيزورونهم على فترات متقطعة.

في أثناء مغادرة السيارة محافظة الفيوم تذكرت غادة كل ما حدث في حدود هذه المحافظة الهادئة وهي غير مصدقة أنها نجت من الموت بأعجوبة.

في حين شرد أمير متذكرًا، لماذا اختاروا هذا المكان لتشييد المستعمرة فيه، وكيف؟

وتذكر أنه كان برفقة هتان في رحلة نيلية، وفي أثناء سفرهم لإحضار بعض المعدات الطبية وقع تحت أيديهم كتيب عن محافظة الفيوم وبتصفحها عثر هتان على الجبل، وأصر على القيام بزيارته، وعندما رآه أمير شعر أنه أنسب مكان لإقامة مشروعهما العلمي، وتذكر كم عانى وهو يساعد في بنائه.. كيف كان يتفق مع العمال على العمل في باطن الجبل وكيف كان يتحفظ على هؤلاء لشهور حتى فرغوا من أعمالهم، فأخذ يتعامل معهم كطبيب، وبدأ بإجراء التجارب عليهم هم ومعاونيهم.

وأغمض عينيه وتنهد بقوة مرددًا: هذا قدري وقدرهم!!

في حين أخذت رقية تشاهد معالم المحافظة من الشباك وهي تحدث نفسها قائلة: غادة ابنتي عانت بما فيه الكفاية فيكِ أيتها البلدة.. آن الآوان أن تغادرك بلا رجعة.

■■■

وفي شقة في الحي السابع بمدينة نصر نزعت غادة النقاب، وهي تقول لأمها: أنتِ ممتازة يا رقية.. لا تتركين أي شيء للظروف.

فكرة جيدة استئجارك هذه الشقة.

قالت رقية ببساطة: لا أريد أن يعلم أي أحد عنكم شيئًا.

ووجهت حديثها لابنتها قائلة:

لا أريدك أن تخرجي من البيت، لن تخرجي من البيت إلا في حالة واحدة فقط، إذا كنتِ مريضة. وسأكون معك لن أدع ما حدث في الماضي يتكرر.

قالت غادة وهي تنظر إلى أمير الذي يقف في شرفة المنزل: رقية أنتِ تخيفينني بهذه الطريقة.

قالت رقية بحسم: انسي أي أمر آخر.. لن تذهبي إلى العمل.. لن تغادري المنزل إلا وأنا معك.. حتى زوجك، لن أتركك تغادرين معه.. هذا أمر منتهٍ.

ضحكت غادة قائلة: حسنًا.. حسنًا.. اهدئي يا حبيبتي.

أنا موافقة سأنفذ كل طلباتك وأوامرك.

أغلقت رقية الباب من الداخل وأخفت المفاتيح في صدرها.

نظرت إليها غادة بمرح: آه فقدنا المفتاح.

ضحكت والدتها وتوجهت إلى المطبخ.

توجهت غادة نحو أمير الذي كان يقف في شرفة المنزل وهو يستكشف المنطقة

قالت له هامسة: فيمَ أنت شارد هكذا؟ فيمَ تفكر؟

قال ببساطة: لا شيء.. أستمع إلى حوارك مع أمك وأستمتع..

ضحكت غادة دون تعليق.. اقتربت منه وهي تتأبط ذراعه وتلتصق به هامسة: اشتقت إليك.

نظر إليها بحب وقبل يديها متنهدًا بقوة: متى سنتزوج؟

قالت غادة: هذا يتوقف على سرعة استخراجك أوراقك.

وفي اليوم التالي خرج أمير مع غادة ورقية متجهين إلى أقرب سجل مدني، واستخرج بدل فاقد لبطاقته، ومن القسم توجه إلى أقرب مأذون شرعي، وعقد قرانه على غادة وسط فرحة عارمة من غادة وأمها.

بعد أن احتفلوا بالزواج بعد أن دعاهما أمير إلى السهر على أحد المراكب النيلية، عادوا جميعًا إلى المنزل القابع على أحد شوارع الحي السابع.

وفي منزلهم الجديد..

وفي غرفتهم وقفت أمامه غادة وهي تنظر إليه بخجل وهي تمرر يدها على وجهه قائلة: أمير.. لا أصدق نفسي.

ضمها إليه هامسًا: ولا أنا..

راقصها على أنغام موسيقى (ضميني وانسي الدنيا) لإيمان البحر درويش.

ومرت الدقائق وهو يضمها إلي صدره بحب.. كان يريد أن يتأكد أنها بين يديه وأصبحت ملكًا له، وأنهما لن يفترقا ثانية.. كان يريد أن يتأكد أنه ليس في حلم وأنها بالفعل بين ذراعيه.. كل لحظة كان يرفع وجهها إليه ويتأمل ملامحها بحب ويعيدها إلى كتفه وهما يرقصان.. ونظر إليها نظرة أخيرة هامسًا بشوق الدنيا كلها: أحبك...

وطبع قبلة على خدها، وتوقفت عقارب الساعة عن الدوران، وفقدا الإحساس بالزمن. توقفت الأرض عن الدوران، وتخلت عن جاذبيتها، وحلق الاثنان في سماء الحب والعشق، وسطع القمر بكامل بهائه، وذابت ثلوج القطبين أمام عواطفهما الجياشة.

■■■

وبعد عدة أيام تلقت رقية اتصالًا من هدى على هاتفها المحمول تسأل عنها، ردت رقية بهدوء قائلة: سافرت إلى أهلي في بورسعيد.. أشكرك يا ابنتي على الاهتمام ودوام سؤالك.

يبـدو أنني سأسـتقر هنا.. علمين أنه لم يعـد لي أحد خاصة بعد فراق غادة. وأغلقت الهاتف ونزعت الشريحة من الهاتف، وألقت بها في سلة القمامة بعد أن كسرتها بيديها قائلة: هذا أفضل.

وبعد عدة أشهر دبت الحياة في رحم غادة، وطار أمير ورقية من فرط السـعادة. ومرت أشـهر.. وأنجبت غادة طفلة رائعة الجمال، ورثـت عيني أبيهـا العميقتيـن، وملامح أمهـا الرقيقة، ولـون رقية الأبيض كبياض الثلج.

وبحث أمير عن عمل كممرض في أحد المستشفيات الخاصة، كان مجال الطب هو المجال الوحيد الذي يجيده، ولا يسـتطيع أن يمارسه؛ لأنه فقد كل أوراقه وشهاداته في الجبل.

ومـن الصعب اسـتخراج صور لهـذه الأوراقأ خاصـة أنه قد مر أكثر من عشرين عامًا على تخرجه.

كان عملـه فـي المركز الطبي يذكره بعمله مع هتان وكان يشـعر بالحنين إلى المكان بقوة.

وانشـغلت غادة ورقية بالوافدة الجديدة على العائلة وابتدأ أمير يعمل في عملين كي يستطيع توفير نفقات واحتياجات الأسرة.

ومع الوقت اسـتطاع أن يسـتأجر مكتب عقارات وعمل بمجال العقارات عدة أشهر، واستطاع تجميع مبالغ مالية لا بأس بها.

جلوسه في مكتب العقارات جعله يفكر أكثر في الجبل، وأخذه الحنين إلى المكان، وقرر زيارته خلسة. وسافر دون علم غادة إلى الفيوم.

■■■

وأمام الجبل وقف أمير وهو يتطلع إلى المنطقة، وجد الصخرة التي تسد فتحة قمة الكهف لا تزال موجودة.

تنهد بقوة وهو يدور حول الجبل.. وجد أكثر من فجوة كبيرة خلفتها الانفجارات.. لكن من حسن الحظ أن تلك الفجوات مغلقة تمامًا بالحجارة الضخمة. وقف وهو يحك ذقنه بأصابعه متسائلًا: تُرى، هل من الصدفة أن تغلق كل الفتحات التي خلفتها الانهيارات والانفجارات بنفس الطريقة والأسلوب أم إنها بفعل فاعل!!!

واتسعت ابتسامته وهو يقول براحة وسعادة: مرحى.. مرحى. يبدو أننا سنعيد ذكريات الأيام الخوالي.

كان يحفظ مداخل ومخارج الجبل تمامًا؛ لذا دار خلف الجبل بشكل تام وأمام أحد الحجارة الضخمة وقف لحظة مترددًا، وهمَّ بإزاحة الجدار لولا أن ورده اتصال على هاتفه المحمول.

كانت غادة تحثه على العودة؛ لأن ابنتهما مريضة.

هرع على الفور إليهما.

وطـوال الطريق لـم يفارق شـكل الفجوات - والحجـارة التي تسـدها - ذهنه، وبـات واثقًا من أمر واحد وأكيـد، أن هناك ناجين آخرين.

■■■

بعـد عـدة سـاعات كان مـع غـادة وابنتهمـا عند الطبيـب الذي طمأنهمـا عليهـا، وأكـد لهمـا أن الأمر طبيعـي، وأن الفتـاة بصحة جيدة، وأن هذه أعراض ظهور أسنان للطفل..

شعر أمير بالسعادة وهو يتفحص فم ابنته هاتفًا: ابنتي.. حبيبتي.. سيظهر لها أسنان!!

ونظـر إلـى غادة بحب قائلًا: ما رأيك فـي أن ننجب لها أخًا كي يحميها؟

نظرت إليه بخجل قائلة: لا مجال للمزاح.. ليس الآن.

قال هامسًا: لا.. هذا هو أنسب وقت.. لن أتنازل عن حق ابنتي في أن يكون لها أخ.

قالت غادة ضاحكة: أكمل..

همس في أذنها بإصرار: أريد أن يكون لها أخ والآن.

ضحكت غادة قائلة: هل أخبرك أحد أنك مجنون؟

ضحك قائلًا: نعم..

نظرت إليه بتساؤل هاتفه: من؟

انفجر ضاحكًا: أنت الآن.

■■■

في قرية الجواهرجي تسلم محيي خطابًا مسجلًا بعلم الوصول من القاهرة، وبمجرد أن فضه وقرأ ما به اتسعت ابتسامته هاتفًا: يا أبي لقد أعادو لي المحل!!

تخيل أنهم تنازلوا لي قانونيًّا عن المحل بكل ما فيه.

ردد والده: حمدًا لله يا ولدي.. تستحق ما أنت فيه.

قبل محيي يد والده بحب مرددًا:

الحمد لله..

■■■

بعد عدة أيام.. ذهب أمير إلى الجبل دون أن يخبر غادة، وفي الطريق اتصل بها كي يطمئن عليها..

وأخبرها أنه سيكون في مكان قد لا يكون به تغطية حتى لا تقلق، وأغلق الهاتف تمامًا.

وبعد قليل وقف أمام المدخل الخلفي للجبل الذي كان يستعمله في أثناء إقامته فيه، وكان يخرج ويدخل منه برفقة حصانه.

أزاح الجدار بعد أن تأكد أن لا أحد يراه، ودلف إلى الداخل بحذر.

وجد الممرات كلهـا متهدمة ومظلمة، والأتربة تردمها بالكامل وبعـض المعـدات تالفـة وتغطيها تمامًـا الأتربة، والغـرف متدمرة بشـكل تام. باختصار.. المكان مهجـور تمامًا، ولا أثر لقدم حديثه فيـه أو حتـى أي بـوادر تدل على وجـود أحياء بالداخـل.. المكان مدمر كليًّا، ويسوده سكون رهيب وهادئ هدوء القبور.

ظـل يسـير في أروقـة المكان بحـذر حتـى لمح من بُعد شـعلة مضيئـة. توقف لحظـة مكانه وهو يحبس أنفاسـه هاتفًـا: ما هذا؟! كنت أشعر أن أمرًا مريبًا يجري.

ظل واقفًا لحظة منصتًا.. سمع صوت زمجرة تنبعث من بعد.

ابتعد بسـرعة عن المكان، وعاد أدراجه بسـرعة، وغادر المكان وأحكم إغلاق المدخل.

وعاد إلى منزله وهو يعيد ترتيب أفكاره وبداخله صراع بين قلبه وعقلـه وحنينه إلى المـكان وضميره الذي يؤنبه، وهو في حيرة من أمره..

■ ■ ■

وفي منزلهم جلس في غرفته شـاردًا، وقلبـه يخفق بقوة، عندما رأته غادة شعرت أنه يخفي عنها أمرًا ما. قالت: ما الأمر؟

لم يخبرها.

أصرت أن يطلعها على الأمر، فأخبرها بما رأي..

ثارت وتشاجرت معه؛ لأنه وعدها ألَّا يخفي عنها أي أمر مهما كان.. حاول إقناعها بضرورة ذهابه ومبرراته ودوافعه ومخاوفه التي تؤرقه.

لكنها رفضت كل مبرراته وصمت آذانها عما يقول كل همها ألَّا يذهب إلى هناك مهما حدث.

كانت تدرك أن عودته إلى هذا المكان مرة أخرى ليس له إلا معنى واحد..

هو الانتحار..

لكن أمير كان يُصر أن يضع حدًّا لهذا الأمر.. مهما كلفه الأمر.. ولأول مرة يتشاجران، وتنام باكية، وهي تحتضن ابنتها بخوف، ولأول مرة يبات أمير حزينًا تعسًا؛ لأنه يشعر بالحيرة بين إرضائها وإرضاء ضميره.

ودار صراع داخلي بينه وبين ضميره وعقله.

أمير الإنسان حديث الولادة، الذي وجد نفسه مع غادة الإنسانة كزوج ورب أسرة، يميل إلى الهدوء، وسعيد بأسرته وحياته الجديدة، خصوصًا بعد أن أنعم الله عليه بزوجة يذوب فيها عشقًا، وهي لا تعشقه فقط بل تنتفسه عشقًا، وجوده بمثابة الحياة بالنسبة لها، تعمل على إسعاده بكافة الطرق.

وعقل أمير يخبره بضرورة غلق هذا المكان للأبد.

ونسيانه..

وفضولـه: يثيـره بتسـاؤلاته التي لا تنتهي؟ من هـؤلاء؟ هل هم «جنود الفئة ج»...؟

أم إنهم من «جنود الفئة ب»...؟

أم إن هتان لا يزال على قيد الحياة ونجا من الانفجارات مثلهما، وعاد إلى المكان وأعاد إصلاحه؟

وحُسم الصراع..

وانتصر فضوله للأسف..

وجد نفسه تلقائيًّا يستقيظ صباحًا ويتجه إلى محافظة الفيوم...

■■■

بعـد عدة أيـام... وأمـام الجبل.. وقـف لحظة يتأملـه بفضول، وتوجـه إلى نفـس المدخل الـذي كان أمامه منذ عدة أيـام، وأزاح الجدار ودلف إلى الداخل، وظل يسـير بروية وهدوء، واقترب من مصدر الضوء ووقف ينصت بهدوء إلى مصدر الصوت.

وجد أحد الجنود يأكل جثة زميل له متحللة تقريبًا.

التصـق بالحائط وهـو يحدث نفسـه قائلًا: إذن هـم من «جنود الفئة ج»!!

لكـن من الـذي أغلق الفجـوات بالحجـارة.. «جنـود الفئة ج» من أكثر الجنود توحشًـا.. هم من تثيرهم رائحة الدماء ويخضعون

لقائدهم بطاعة الذي يسيطر عليهم سيطرة تامة، لا بد أن قائدهم لم يمت إذن.

وفجـأة توقف الجندي عن التهام جثة زميلـه، ونظر باتجاه أمير وهو يحرك أنفه متشممًا رائحة الهواء..

أغمض أمير عينيه هاتفًا: تبًّا... رائحة العطر الذي أضعه كشفت مكاني..

فجأة برز أمير من مكانه وهو ينظر بتحدٍّ إلى عين الجندي الذي ترك جثة زميله، وزمجر بوحشية، وهو ينقض على أمير الذي تفادى انقضاضته بمهارة، وطعنه في رقبته بسكين كان يحمله في يده.

سقط الجندي أمام أمير وهو يطلق خوارًا.. فصل أمير رأسه عن جسـده بسـرعة والتقط بندقيـة الجندي الآخر المتحلـل الذي كان يتغذى عليه «جندي الفئة ج».

واطمـأن أن البندقيـة محشـوة، وتقـدم إلـى الأمام بحـذر على أضواء المشـاعل وهو يقول: إذن اسـتمروا على قيد الحياة؛ لأنهم تغذوا على بقايا الجنود الذين ماتوا بفعل الانفجار.

برز أمامه ثلاثة جنود يرتدون ملابس زيتية اللون مموهة.. اللون المميز لـ «جنود الفئة ج».

حاولـوا الهجـوم عليـه، لكنـه عاجلهـم بطلقـات أصابتهم في الرأس، فأردتهم قتلى بسرعة.

فـي أحـد الممـرات قابلـه جنـدي آخر يرتـدي ملابـس رمادية مموهة، عندما رآه ابتسـم بسعادة، في حين صوب أمير إليه السلاح هاتفًا:

- ما رقمك يا أيها الجندي؟

رد الجندي باحترام: 911 ب.

خفض أمير سلاحه وهو يتنهد قائلًا: مرحى يا رجل.

أقبل عليه الجندي مصافحًا إياه هاتفًا: سمعت صوت الرصاص، فجئت لاستطلاع الأمر.

قال أمير: أخبرني.. كم عددكم؟ وكيف تعيشون؟

سـار أميـر معـه متجهًا إلـى إحدى الغـرف الموجـودة في أحد الممـرات ذات البوابات الفولاذية، وبمجـرد أن دلفوا إلى داخلها وجـد مجموعة مكونة من خمسـين جنديًّا يجلسـون على الأرض في هذه الغرفة، وبمجرد أن رأوه أدوا له التحية العسكرية باحترام.. دعاهم إلى الجلوس قائلًا: أريد أن تخبروني بم حدث؟

قـال أكبرهم رتبة: أصدر الجنـرال تعليماته بالقبض عليك أنت والفتـاة ثـم حدث انفجـار ضخم وانهـار 70 بالمائة مـن المكان. أنقذتنا العناية الإلهية، ومع الوقت ظهر بعض «جنود الفئة ج»؛ لأن سيادتك تعلم أن عدد جنود «الفئتين أ، ب» أكبر من «الفئة ج».

لكن ما حدث من انفجارات وانهيارات تسبب في فوضى، مما أدى إلـى تزايـد عدد الضحايا مـن كل فئة، لكن " جنـود الفئة ج "

خاصةً تزايدت أعدادهم بشكل مضاعف، تعلم أنهم كمخلقين قادرون على التكاثر ذاتيًّا، ولأن أعداد الموتى كانت كثيرة فقد تغذى «جنود الفئة ج» على بقايا «الفئتين أ، ب»، مما أدى إلى تضاعف عددهم بعد أن هاجموا مقرات «الفئتين أ، ب» ونجا منهم من نجا، بعد أن انضم إلى جنود «الفئة ج»: مجبرًا، وقُتل من قُتل، وصار غذاء «للفئة ج»..!!

قال أمير: لماذا لم تغادروا المكان؟

رد ماهر أعلاهم رتبة بثبات: لا أستطيع يا سيدي... وظيفتنا منعهم من التسلل إلى خارج القاعدة يا سيدي، كل ما كنت أخشاه يا سيدي أن يتسللوا إلى خارج الجبل، خاصة بعد ظهور الفجوات التي خلفتها الانفجار. أصدرت أوامر إلى رفاقي بغلق كافة المخارج، وكل مهمتنا من وقتها هي منع هؤلاء من الخروج أو التعرض للأبرياء. تعلم أنه لو خرج أحدهم فقط سيحيل حياة البلدة إلى جحيم..

قال أمير وهو يتنهد بقوة: وكيف تعيشون؟

قال الجندي: لدينا مخزون لا بأس به من الغذاء.

وإذا احتجنا أي شيء نرسل الجندي (عيسى) إلى القرية.

نظر أمير إليهم قائلًا: ممتاز. من الجيد وجود حكماء مثلك يا ماهر.

قال ماهر وهو يتنهد براحة: سيدي، والجنرال.. أين هو؟

قال أمير: لست أدري؟ هل تظنه نجا؟ أتمنى أن يكون نجا؛ لأن القاعـدة لـن تصمد إلا بوجـوده. لن يعيد لها نظامهـا إلا هو.. ولن يحكم أحد السيطرة عليها إلا هو..

قال ماهر: وأنت يا سيدي؟ ماذا حدث معك؟ وأين كنت طوال هذه المدة؟

هـمَّ أميـر بالتحـدث: لكنهم سـمعوا طرقًـا على بـاب غرفتهم بقوة، يتزايد بوحشية وتتعالى أصوات الزمجرة بوحشية، وتزايدت الأصوات وصوت الطرق، بما يشـير إلى سـوء الوضع تمامًا، وأن «جنـود الفئـة ج» يشـنون هجومًا ضاريًـا عليهم، ويريـدون الفتك بهـم، كان من الواضح من أصواتهم أن أعدادهم يفوق عددًا ماهرًا ورفاقه بمراحل..

وكان ماهـر يعلـم أن البـاب لـن يصمـد كثيـرًا أمـام ضرباتهـم الغاضبة؛ لذا قال للجنود بحسم وجدية:

أيها الرفاق دافعوا عن أرواحكم، لا تدعوا أي جندي منهم على قيد الحياة، صوبوا على الرأس. سعدت بالتعامل معكم.

واتخـذ مكانـه فـي أحـد الأركان وانتشـر باقي رفاقـه متوزعين في الغرفـة متخذين من المناضد والمقاعد والأسـرَّة سـاترًا، وهم يصوبـون أسـلحتهم تجـاه البـاب الـذي انهـار تحـت وطـأة ذلك الطـرق العنيف، وأخذ أمير والجنود يطلقون الرصاص على رؤس

المهاجمين، وأشرفت الذخيرة على النفاذ، وفجأة سمع أمير صوت تبادل لإطلاق النار بالخارج من الخلف..

التفت الجميع إلى مصدر الصوت وجدوا هتان يهجم على «جنود الفئة ج» من الخلف حاصدًا أعدادهم وأرواحهم.

وقف على أعتاب الغرفة الموجود بها أمير وماهر متفاجئًا بوجود أمير، هاتفًا بدهشة شديدة: أمير !! مستحيل !! ما زلت على قيد الحياة !!

صوب أمير إليه السلاح غاضبًا: هل ستقتلني مرة ثانية؟ تسمر ماهر ورجاله بدهشة، وهم يتابعون ما يجري وما يسمعون، في حين نظر هتان إلى أمير ثم قال بظفر: يسعدني هذا..

وفجأة انهال على الجميع طلقات رصاص قادمة من مكان ما مجهول.. التصق الجميع بالجدران محتمين بها، وسمع الجميع صوت أقدام رجال الشرطة وهي تدخل المكان، وأحدهم يتحدث إليهم من خلال مكبرات الصوت محذرًا قائلًا:

اتركوا السلاح، وسلموا أنفسكم.

لم يعلم الجميع أن الشرطة تراقب المكان على فترات متقطعة، وتجمعوا وقرروا اقتحام المكان ومحاصرته بعد أن سمعوا أصوات تبادل إطلاق للنار التي دوت في المكان بكثافة منذ قليل..

التصق هتان بالحائط هاتفًا بحسم: أيها الجنود... دافعوا عن بيتكم، اتخذوا مواقعكم، لا تسمحوا لأي أحد أن يقترب من المكان..

لا تدعوا أي فرد يقترب.. الهدف من تصويباتنا هذه المرة ليس القتل، بل الترويع أطلقوا الرصاص أمام أقدام أفراد الشرطة.. أجبروهم على التراجع..

ونظر إلى أمير منتظرًا أن يؤيده

قال أمير آمرًا الجنود:

نفذوا الأوامر يا سادة.

تحرك الجنود بقيادة ماهر وباقي جنود هتان متفرقين وتبعهم أمير وهتان، وفي أثناء تقدم أمير من أحد الطرق متخذًا وضعية المدافع عن المكان لم يشعر بهذا الجندي المتسلل من خلفه بحذر وهو يرفع مسدسه مصوبًا على الرأس، ومن الخلف سمع أمير صوت طلقة مكتومة أعقبها ارتطام بالأرض يأتي من خلفه، التفت خلفه بسرعة، وجد هتان يقف مصوبًا سلاحه تجاهه وفوهة مسدسه يتصاعد منها الدخان، نظر إلى فوهة المسدس وإلى الجندي الصريع تحت أقدام هتان.

قال هتان بهدوء وثقة وهو يعبر من على جثة الجندي الصريع: كن حذرًا أيها الجندي؛ أنت الشخص الوحيد المتبقي لي من العائلة...!!

حدق به أمير لحظة ثم بدأ تبادل إطلاق النار، اتخذ هتان وضعية المقاتل مثله مثل رجاله، ودارت معركة كبيرة، وتبادل الجنود إطلاق النار مع رجال الشرطة الذين تقهقروا إلى الخلف كثيرًا، وتم إغلاق المدخل تمامًا بالجدار الوهمي أحدث إبتكارات الجنرال.. جدار صخري كبير.. الجزء الداخلي صخري اللون والجزء الخارجي جدار تنمو عليه بعض الحشائش الجافة المهملة، وتنتشر عليه الأتربة العتيقة التي لا يوجد عليها آثار بشرية أو حتى حيوانية.. مما يوحي بأن هذا المكان مهجور، وساعد هذا الجدار في تضليل رجال الشرطة...!!!

عندما عاد رجال الشرطة إلى الدخول للكهف من نفس المدخل شعروا بالحيرة؛ لأن الجدار كان شكله مختلفًا تمامًا، وكأنهم في مكان جديد أو ضلوا الطريق...

والتف الجنود حول الجبل بحيرة باحثين عن المكان الذين دخلوا منه للكهف.. سرعان ما شعروا باليأس وأيقنوا أنهم يحاربون الشيطان..

■■■

وقف أمير مع هتان يتصافحان، وتذكر هتان آخر لحظات جمعته بأمير بعد أن أطلق عليه النار، وكيف انهار جزء كبير من الصخور، وأغلق مدخل الكهف الرئيسي وكيف ركض هو محاولًا النجاة

علـى أمل أن يعـود لأخذ جثتيهما بعد أن تهـدأ الأوضاع. وبالفعل بعد أن هدأت الانفجارات عاد إلى المكان فلم يجد جثتيهما...!!

ظـل قابعًـا داخل الكهـف، في الجزء الأيسـر منه جـزء لا يزال تحـت الإنشـاء مهجور تمامًـا.. كان يأتي إلى هـذا الجزء كل حين لنقل ما قد يفيده من الأجهزة أو المعدات،

وبالتدريـج بـدأ يعثر على جنـوده.. رويدًا رويـدًا.. أعاد ترتيب أموره وأعاد إحكامه على القاعدة، وكان يضع الجزء المدمر تحت الرقابة التامة. كان سعيدًا أن أمير لا يزال أمامه.

وتذكر كيف مرت عليه أول الأيام بعد أن فقد لمار للمرة الثانية هي وأمير، وكيف سـخر حزنه لإعادة بناء المكان بأقل الإمكانيات وأقل العتاد.. كان دائمًا يردد: لا شيء يوقفه العلم.

وهتان يمتلك العلم والصبر.

انتشلته من أفكاره وذكرياته كلمات أمير..

أمير: أسامحك يا سيدي.

- أتدري لماذا؟

نظر إليه هتان بتساؤل..

أكمل أمير مبتسمًا:

لأنـك أنقذت حياتـي وحياة هؤلاء الرجال الشـجعان، وهؤلاء الرجال أنقذوا القرية من فتك جنود " الفئة ج "

هؤلاء الرجال ضحوا بأرواحهم من أجل أن ينعم الآخرون بالأمان.

ثم استدرك باهتمام وجدية قائلًا:

- ماذا ستفعل؟

نظر إليه هتان بثقة قائلًا:

سنعيد بناء القاعدة.

قال أمير بتردد: نعيد بناءها؟؟؟

تفحصه هتان بدقة قائلًا:

هل عندك خطط أخرى؟

رد أمير مبتسمًا:

سيدي، أنا تزوجت.

وضغط على حروفه وهو يراقب ملامح هتان قائلًا:

أصبحت جدًّا يا سيدي..

حدق به هتان لحظة هاتفًا غير مستوعب الأمر: هل تعني أن لمار على قيد الحياة؟

هز أمير رأسه قائلًا: نعم.

واقترب منه وهو يناوله صورة أخرجها من محفظته قائلًا: سيدي هذه صورة حفيدتك وابنتك.

أعطاه صورة لغادة وهي تحتضن ابنتهما.

نظر إليها هتان وابتسم قائلًا بسعادة: تشبهني الطفلة.. تشبهني.

قال أمير بهدوء: سيدي أنا حياتي معهما.

أنت حياتك هنا.

قال هتان مبتسمًا: لكن الجنود اعتادوا على وجودنا معًا.. شيدنا معًا هذا المكان وسنعيد بناءه معًا.

قال أمير بحسم: آسف... مكاني ليس هنا..

قـال هتان بخبث: لكنك لن تبخل عليَّ بآخر طلب.. لن ترفضه أليس كذلك؟

نظر إليه أمير بتساؤل..

ابتسم هتان دون أن يفصح...

قال أمير: سيدي، اطلب ما شئت؛ أنا رهن إشارتك.. تعلم أنني لن أرفض لك أي طلب.. فأن أدين لك بالكثير..

قال هتان وهو يربت على كتفه بحنان: اهتم بابنتي وأحفادي.

كن على اتصال دائم معي.

أطلعني على أخبارك وأخبارهم.

صافحه أمير بقوة قائلًا:

اطمئن.

■■■

وبعد عدة أشهر..

جلس أمير بجوار غادة على السرير وهو يحمل طفله الثاني قائلًا:

ما أجمله!

يشبهني هذا الولد كثيرًا!

ضحكت غادة قائلة:

أنت أجمل منه يا حبيبي.

قبل يدها قائلًا:

أحبك.

■■■

في الكهف وفي نفس الوقت بالضبط

وقف هتان يعيد بناء تشييد المعمل

ووقف بجواره أمير...!

■■■

تمت

أمل زيادة

7/9 /2014

كلمة شكرًا لا تكفي

هناك جنود مجهولون لم يبخلوا بنصائحهم عليَّ دائمًا.. وهم مع حفظ الألقاب:

- **الأستاذ محمد عبد المنعم** الذي يدعم الأقلام والمواهب، ويساندها دومًا، لولاك لما رأى هذا العمل النور.. شكرًا بحجم الكون.
- **الدكتور عيد إبراهيم**، ألف شكر وألف قليلة عليك، مواقفك تتحدث عنك.. أدام الله عليك محبة الناس.
- **الدكتورة والناقدة نوران فؤاد**.. أنت عملة نادرة هذه الأيام.. أحبك.
- كاتب الرعب المميز جدًّا/ **عمرو المنوفي**.
- الأستاذ الصحفي والكاتب الجريء **سامح فايز**.
- العزيزة أختي المقربة والكاتبة المعروفة: **فاطمة على ماضي**.
- الأستاذ والكاتب المخضرم: **محمد عبد الرازق**.

- والكاتب النادر الوجود الأستاذ **محمد عبد الرازق زيادة**.
- الحبيبة: **وئام خليل**.
- الأستاذ الشاعر الكبير **محمد الصفتي**.
- الصديق العزيز **فارس محمد**.
- وختامه مسك مع.. زوجي الحبيب **خالد**، الذي قدر له أن يتحملني بكل صبر في مراحل كتاباتي لأي عمل روائي.

شكرًا لكم جميعًا

أمـــل زيـــادة

معلومات عن الكاتب

- أمل عبد المجيد عبد المجيد عبد الحميد زيادة
الشهيرة بـــأمل زيادة
- كاتبة ومحامية وصحفية بجريدة السياسة الكويتية.
- حاصلة على ليسانس حقوق جامعة عين شمس.
- عضو عامل باتحاد الكتاب.
- عضو شرفي بنقابة أدباء الخيال العلمي العرب.
- حاصلة على المركز الأول في مسابقة الإبداع الكبرى عن قصة تسرع.
- حصلت روايتها الكهف على جائزة نهاد شريف لأدب الخيال العلمي.
- حصلت قصتها فراق على المركز الأول في مسـابقة(بالكلمة نبني وطنًا) التابعة لاتحاد الكتاب.
- صدر لها:
- رواية الكهف ج 1.
- رواية في الخاطر.
- رواية دماء في الغربة.
- الشاردة.

■■■

- **لها عدة مشاركات في كتب جماعية:**

- قصة بعنوان (ويجا) في الكتاب الجماعي (مبدعون).
- مقالات مختلفة في كتاب (رقم قومي).
- مقالات خيال علمي في سلسلة شمس الغد لأدب الخيال العلمي.

■ ■ ■

- **تحت الطبع:**

- رواية صهر الحديد.
- رواية النبع.
- رواية الخادم.
- رواية جموح.
- شهد.




سما
للنشر والتوزيع

جبل الأساطير

Mount legends

فالجبل على مدار السنوات يشكل لغزا شديد الغموض ظلت اصوات الانفجارات تهز الارض تحت اقدامنا حتى فوجئنا بانهيارات ضخمة تحدث في قلب الجبل بشكل مخيف وخطير جداً جرى كل من كان معي وكل من كان بالقرب من المكان وكل من جذبه صوت الجلبة للمشاهدة واستطلاع الامر بدافع الفضول الكل هرب الكل فر خوفاً من المجهول وانتشرت الشائعات الجبل المسكون تخلى عن سكونه انه يوم الفصل ؛ يوم الحساب ؛ الله غاضب على قريتنا وارسل من يبديها على الاخر .. واخرين قالوا الجبل المسكون بتجار السلاح انقلب عليهم

تصميم الغلاف : إيمان صلاح





